لغز اللص الشبح



محمود سالم

لغز اللص الشبح

تأليف
محمود سالم



لغز اللص الشبح

محمود سالم

الناشر مؤسسة هنداوي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شييت ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
تليفون: ‎+ ٤٤ (٠) ١٧٥٣ ٨٣٢٥٢٢
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

تصميم الغلاف: أحمد رحمي

الترقيم الدولي: ٩٧٨ ١ ٥٢٧٣ ٢٣٤٧ ٦

صدر هذا الكتاب عام ١٩٧٣.
صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢١.

المحتويات

بداية مغامرة ٧
الشبح ... ذو القدم الكبيرة ١١
الشبح يتحرَّك ١٥
مغامرات ... ولكن ١٩
القدم الكبيرة ٢٥
أملٌ جديد ٣١
حكاية الآثار ٣٥
من هو اللص الشبح؟ ٣٩

بداية مغامرة

ألقت «لوزة» برأسها إلى الخلف، وأخذت ترقب السماء في إعجاب.

كانت هناك مجموعة من السحب المنخفضة تجري مسرعةً أمام الريح، وكأنها قطيعٌ من الخراف البيضاء تتسابق في السماء.

ولاحظ بقية الأصدقاء عينَي «لوزة» المعلَّقتَين في المشهد الطبيعي، فأرسلوا أبصارهم جميعًا إلى فوق. ولم يكن المغامرون الخمسة وحدهم في هذا اليوم؛ كانت معهم ضيفة جميلة صغيرة هي «نشوى»، ابنة المفتش «سامي» التي جاءت لزيارة أقاربها، فقدَّمها المفتش إلى المغامرين الخمسة التي كانت مُعجبةً بهم، فجاءت تقضي معهم هذا اليوم على أن يمر والدها لأخذها آخر النهار.

كانوا جميعًا جالسين في حديقة فيلا أسرة «تختخ»، يتبادلون الأحاديث عن الألغاز التي اشتركوا في حلِّها، واستمتعت «نشوى» كثيرًا بأحاديث «تختخ» عن طريقته في حل الألغاز، والوسائل التي يتبعها في التفكير، ثم ظهرت الطبَّاخة على باب الفيلا، ونادت «تختخ» قائلةً إن هناك من يطلبه على التليفون.

أسرع «تختخ» إلى الفيلا، ووجد المفتش «سامي» يتحدَّث إليه قائلًا إنه سيحضر بعد قليل، ليقضي معهم بقية اليوم.

ابتهج الأصدقاء جميعًا عندما علموا أن صديقهم مفتش المباحث الشهير «سامي» سوف يحضر، وارتفعت أصواتهم تتحدَّث عنه وعن الجرائم الشهيرة التي قام بالقبض على مرتكبيها.

وكان الشاي والجاتوه على المائدة، فقال «تختخ»: سوف أحكي لكم لغزًا صغيرًا، ومن يحله أولًا فسوف يأخذ قطعةً كبيرةً من الجاتوه.

وافق الجميع على هذا الاقتراح بحماسة، وطلب منهم «تختخ» السكوت حتى يستمعوا بدقةٍ إلى كل كلمة يقولها، ثم بدأ اللغز قائلًا: «كان أحد رجال الشرطة يسير ليلًا في هدوء، يُراقب المنازل والمحلَّات ...» وفجأة ... وقبل أن يُكمل «تختخ» الجملة، سمع الأصدقاءُ صوت سيارة المفتش «سامي» وهي تقف بالباب، فوقفوا جميعًا لاستقباله، وظهر المفتش الوسيم القوي بباب الحديقة، وهو يحمل بيده لفافةً مربوطة، ثم تقدَّم منهم مبتسمًا وهو يقول: هل سأجد لنفسي كوبًا من الشاي؟

ردَّت «لوزة» في ابتهاج: إننا لم نبدأ بعد، وفي إمكانك أن تحصل على جائزةٍ ثمينة إذا حللت اللغز.

المفتش: أي لغز؟

لوزة: لغز رجل الشرطة الذي يقصُّه علينا «تختخ»!

المفتش: لا مانع ... ولكن ما هي الجائزة الهامة؟

نوسة: قطعةٌ كبيرة من الجاتوه.

المفتش: أوافق بمنتهى الحماس. هيا يا «تختخ» قل لنا اللغز.

تختخ: سوف أبدأ من الأول مرةً أخرى ... كان أحد رجال الشرطة يسير ليلًا في هدوء يُراقب المنازل والمحلَّات، وفجأة ...

وقبل أن يُكمل «تختخ» جملته، سمع الأصدقاء صوت أقدام مسرعة تقترب من باب الحديقة، ثم شاهدوا الشاويش «كرم» وهو يتقدَّم باحترامٍ من المفتش، ويدق كعبَيه ويرفع يده بالتحية العسكرية للمفتش قائلًا: آسف جدًّا يا سيدي المفتش، ولكن حادث سرقة وقع حالًا الآن؛ فقد سرق لص في وضَح النهار مجوهرات السيدة «بهيجة» بالشارع رقم «٣٦». وقد أبلغتني تليفونيًّا، فأسرعتُ إلى هناك، ثم حضرت إلى هنا حسب تعليمات سيادتك بإبلاغك بأي شيء عند الأستاذ «توفيق».

وقف المفتش فورًا وقال للأصدقاء: معذرةً سوف أذهب لبحث المسألة، وأرجو أن تستمروا في تناول الشاي والجاتوه، وأن تتركوا لي قطعةً وفنجان شاي حتى أعود.

قال تختخ: اسمح لي يا حضرة المفتش بالحضور معك.

المفتش: لا داعي؛ إنه ليس لغزًا يستحق عنايتك، إنها سرقةٌ عادية وسوف نستطيع القبض على اللص بسرعة، فلتبقَ أنت مع الأصدقاء حتى أعود إليكم.

وانصرف المفتش «سامي» مسرعًا، في حين سكت بقية الأصدقاء في انتظار أن يُكمل «تختخ» اللغز الذي بدأه مرتَين، ولكن «تختخ» ظل صامتًا فقد شغله حادث السرقة، وأخذ عقله يعمل بسرعة.

قطعت «نوسة» حبل الصمت قائلة: إن الشاويش «كرم» يبدو ذكيًّا وسريع التصرُّف، بعكس صديقنا الشاويش «فرقع»، فهل سيبقى هنا دائمًا؟

مُحب: إنه سوف يبقى بضعة أيام فقط حتى يعود الشاويش «فرقع»، الذي ذهب إلى القاهرة منذ فترةٍ للتدريب على أعمال تتبُّع اللصوص، والتنكُّر، وهي فترةٌ تدريبية تُعقد كل سنة لرجال الشرطة.

عاطف: إذن سوف يعود الشاويش وقد تزوَّد بمعلوماتٍ وحِيَل جديدة، وقد يسبقنا بعد ذلك في حل الألغاز.

نشوى: هل ستُكمل لنا اللغز يا «تختخ»؟ إنني أُريد أن أشترك معكم في حل لغزٍ صغير، ما دمت لا أستطيع الاشتراك في حل الألغاز الكبيرة والمثيرة.

تختخ: نعم، سوف أروي لكم بقية اللغز ... وسأبدأ من الأول مرةً أخرى حتى تتمكَّنوا من متابعته ... «كان أحد رجال الشرطة يسير ليلًا في هدوءٍ يُراقب المنازل والمحلَّات ... وفجأة»، وقبل أن يُتم «تختخ» جملته، ظهر الشاويش «كرم» مرةً أخرى، وطلب من «تختخ» الحضور معه إلى مكان حادث السرقة كطلب المفتش، واعتذر «تختخ» إلى بقية الأصدقاء، وطلب منهم أن يتناولوا الشاي والجاتوه، ثم أسرع إلى سيارة الشرطة التي كانت في انتظاره، فانطلق إلى الشارع رقم «٣٦» حيث جرت السرقة.

عندما وصل «تختخ» إلى مكان الحادث، كان المفتش قد غادر المكان بعد أن طلبت الوزارة حضوره إلى القاهرة، فأخذ «تختخ» والشاويش «كرم» يُعاينان المكان ... والشاويش يشرح له ما سمعه من السيدة «بهيجة» عن حادث السرقة.

كان المنزل الذي وقع به الحادث عبارةً عن فيلا من دورَين بها مدخل رئيسي من الأمام، ومدخلٌ آخر من الخلف يُؤدِّي إلى المطبخ، وسُلَّمٌ داخلي بجانب المطبخ يصل الدور الأول بالدور الثاني. وكانت السيدة بمفردها عندما وقع الحادث، نائمةً على كرسي في الصالة بالدور الأرضي، عندما سمعت صوتًا مكتومًا كأنما شيء سقط في حديقة الفيلا، وسمعت صوت أقدام ثقيلة في الدور الثاني، وصوت سُعال قوي كأنه نباح كلب. وبما أن باب الفيلا الرئيسي كان مُغلقًا من الداخل؛ فقد أسرعت إلى باب المطبخ، ولكنها لم تجد أحدًا؛ فتأكَّدت أن اللص ما زال في الدور الثاني؛ فأخذت تستغيث، وفي هذه اللحظة ظهر «عطوة» بائع الخبز في الحديقة، فاستغاثت به السيدة، فأسرع بالصعود إلى الدور الثاني لمطاردة اللص ولكنه لم يجد أحدًا، وكان «كامل» ساعي البريد، وبائع خضار متجوِّل قد حضرا على صوت الاستغاثة، فاتصل «كامل» بقسم الشرطة وأبلغ الشاويش «كرم»، الذي انتقل إلى مكان الحادث فعاينه، ثم حضر لاستدعاء المفتش.

كانت هذه المعلومات هي كل ما حصل عليه «تختخ»، عندما وصل إلى فيلا «بهيجة»، ولكن كانت هناك معلوماتٌ أخرى في مكان الحادث؛ فقد لاحظ «تختخ» كما لاحظ المفتش من قبلُ هو والشاويش «كرم»، وجود آثار حذاء ضخم جدًّا على أرض الحديقة، وعندما صعد إلى فوق حيث تمَّت عملية سرقة المجوهرات، وجد آثار أصابع قفاز ضخم على الحوائط.

قال «تختخ» للشاويش «كرم»: من الواضح أن هذا اللص ضخمٌ للغاية؛ فآثار الأقدام تدل على أنه يلبس حذاءً لا يقل عن مقاس «٤٧»، وهو مقاسٌ نادر. كما تدل آثار يدَيه على أن يدَيه كبيرتان جدًّا.

الشاويش: هذا ما لاحظه المفتش أيضًا.

عاد «تختخ» إلى الحديقة مرةً أخرى، وأخذ يدور حول الفيلا مرةً ومرات، فلاحظ وجود آثار ما يُشبه دائرةً في الأرض، بها خطوط متقاطعة ظهرت بوضوحٍ على أرض حديقة الفيلا المبتلة.

هرش «تختخ» رأسه متحيِّرًا وقال: من المدهش جدًّا أن تسمع السيدة صوت أقدام اللص وسعاله، ثم لا ينزل أمامها، ولا تراه يخرج من باب الفيلا أو من باب الحديقة، فأين ذهب؟ هل من الممكن أنه ما زال في الدور الثاني؟

الشاويش: غير ممكن طبعًا؛ فقد فتشت المكان عند حضوري كما فتشه المفتش «سامي»، ولا تنسَ أن بائع الخبز «عطوة» قد صعد أيضًا فوق ولم يجد شيئًا!

تختخ: شيءٌ مثير للغاية، تعالَ نصعد مرةً أخرى إلى فوق.

وصعدا مرةً أخرى، وأخذ «تختخ» يُفتِّش عن مكانٍ ممكن أن يهبط منه اللص إلى الدور الأرضي. وكانت النوافذ كلها مرتفعة، ولو ألقى اللص نفسه منها لأصيب إصابات بالغة، ولم تكن هناك سوى نافذة الحمام، حيث تمتد منها المواسير إلى أسفل، ولكن النافذة كانت مغلقةً من الداخل، فلا يمكن أن يكون اللص قد استعملها للهرب.

الشبح ... ذو القدم الكبيرة

عندما عاد «تختخ» إلى الأصدقاء كان يبدو شاردًا، وأخذ يشرب كوب الشاي، وهو ينظر بعيدًا كأنما يرجو أن يهبط عليه حل اللغز من السماء.

قالت «لوزة»: ماذا حدث يا «تختخ»؟ إنك تبدو شاردًا، كأنما قابلت شبحًا.

تختخ: الحقيقة أنه شبح فعلًا، ولكني لم أُقابله ... بل إنه ليس شبحًا فقط، إنه خيال ... أو هواء ... ولو استمعتم إلى تفاصيل السرقة وكيف تمَّت؛ لاندهشتم كما اندهشت ... فاللص دخل إلى المنزل بطريقةٍ لم نعرفها بعد، ولكن في الغالب دخل عن طريق باب المطبخ، ثم صعد إلى فوق وسرق الجواهر، وفي هذه اللحظة تنبَّهت السيدة «بهيجة» لما حدث، وسمعت صوت أقدام في الطابق الثاني، وسمعت صوت سعاله، ولمَّا كان باب الفيلا الرئيسي مغلقًا، فقد كان من المتوقَّع أن ينزل ويهرب عن طريق باب المطبخ، فاتجهت إلى باب المطبخ، ولكن اللص لم يخرج ... ومعنى هذا أنه ما زال فوق. وحضر «عطوة» بائع الخبز، فصعد إلى فوق لمطاردة اللص، ولكنه لم يجده فوق، ومعنى هذا أن اللص لم يهرب ... ولكنه في نفس الوقت ليس موجودًا ... فهل تلاشى في الهواء، أم طار في السماء؟! ذلك شيءٌ غريب للغاية. وقد حضر الشاويش «كرم» بعد دقائق قليلة، كما حضر المفتش بعد ذلك، وحضرت أنا، وفتَّشنا المكان تفتيشًا دقيقًا، ولكن لا أثر للص، إلَّا الآثار التي تركها، وهي آثار حذاء ضخم له نعل من الكاوتش المخطَّط، وآثار قُفَّاز ضخم على الجدار، فالشيء الوحيد الذي نعرفه عنه أنه ضخم الجسم، وهذا مجرَّد استنتاج، فإن أحدًا لم يرَه، لا السيدة، ولا بائع الخبز، ولا ساعي البريد، ولا بائع الخضار ... فما رأيكم؟

أخذ الأصدقاء جميعًا ينظرون إلى «تختخ»، وقد انتابتهم حيرةٌ شديدة، ثم قالت «نشوى»: وما رأي أبي في هذه السرقة؟

تختخ: للأسف أنني لم أقابله؛ فقد غادر المكان قبل حضوري عائدًا إلى القاهرة، وسوف يقوم «كرم» بتوصيلك إلى المنزل؛ لأن المفتش سيكون مشغولًا هذا المساء.

لوزة: إنني أقترح أن نُقابل كل الذين وُجدوا في مكان الحادث؛ السيدة «بهيجة»، و«عطوة» بائع الخبز، و«كامل» ساعي البريد، وبائع الخضار، هل واحدٌ منهم يكون قد رأى السارق ولو من بعيد، أو حتى قد يكون السارق واحدًا منهم!

تختخ: هذا اقتراحٌ معقول للغاية، وسيقوم «مُحب» بالبحث عن بائع الخضار، و«عاطف» بالحديث إلى ساعي البريد، وسأذهب أنا لمقابلة «عطوة» باعتباره كان أقرب الجميع إلى الحادث.

وقضى بقية الأصدقاء يومهم في اللعب والترفيه عن «نشوى»، وقد قرَّروا أن يبدءوا البحث والتحري في اليوم التالي.

وعندما اقترب المساء، حضر الشاويش «كرم» لاصطحاب «نشوى»، وكانت فرصةً للحديث معه استغلها «تختخ».

قال «تختخ»: هل كوَّنت رأيًا يا حضرة الشاويش عن هذا الحادث؟

الشاويش: الحقيقة أنني حائرٌ جدًّا؛ فالسرقة تمَّت في وضَح النهار، ولكن اللص اختفى كأنه شبح، ولو كانت الدنيا ليلًا لقلنا إنه اختفى في الظلام، ولكن في النهار! … شيءٌ غريب … إنني أحمد الله لأنني لن أبقى طويلًا هنا؛ فسوف يعود الشاويش «علي» إلى العمل بعد غد، ويتسلَّم هو المشكلة!

تختخ: ألم تجد في مكان الحادث أي آثار أخرى غير التي رأيناها معًا؟

الشاويش: في الحقيقة أنني عثرت بجوار آثار الدائرة التي وجدناها على أرض الحديقة، على قطعتَين صغيرتَين من الورق، ولكني لم أفهم منهما أي شيء!

تختخ: هل أستطيع أن أراهما من فضلك؛ فقد نستطيع أن نستدل منهما على شيء؟!

الشاويش: تستطيع أن تحضر غدًا إلى القسم، فهما هناك مع المحضر الذي حرَّرته عن الحادث.

وودَّع الأصدقاء «نشوى» حتى باب السيارة، فشكرتهم على الساعات الجميلة التي قضتها معهم، ووعدتهم بزيارةٍ أخرى، ثم دار المحرِّك، وأخذت السيارة تبتعد، حتى اختفت عند منحنى الشارع، واختفى معها المنديل الصغير الأبيض، التي كانت «نشوى» تُلوِّح به للأصدقاء.

انتهى هذا اليوم بالنسبة للمغامرين الخمسة، بعد أن اتفقوا على التحريات التي سيقومون بها في اليوم التالي، فعاد «مُحب» و«نوسة» إلى منزلهما، ثم تبعهما «عاطف»

و«لوزة» بعد قليل، وبقي «تختخ» في المنزل وقد استغرق في التفكير، وهو يتأمَّل الرسم الذي رسمه لآثار الحذاء الضخم، والقُفَّاز الكبير، وهو مندهش لهذا العملاق الذي لم يرَه أحد.

استيقظ «تختخ» في صباح اليوم التالي مبكِّرًا، وبعد إفطارٍ سريع، ركب دراجته وانطلق ومعه «زنجر» في الطريق إلى قسم الشرطة لمقابلة الشاويش «كرم»، وفي الوقت نفسه كان بقية الأصدقاء قد خرجوا من منازلهم للقيام بالمهمَّات التي كُلِّفوا بها، فذهب «مُحب» وشقيقته «نوسة» للبحث عن بائع الخضار، ووقف «عاطف» و«لوزة» في أول الشارع في انتظار ساعي البريد.

رحَّب الشاويش «كرم» بـ «تختخ»، ثم أخرج دفتر المحاضر، وأخرج منه قطعتَين من الورق، قدَّمهما لـ «تختخ» قائلًا: حاول أن تفهم منهما شيئًا ... فإنني شخصيًّا لم أفهم أي شيء.

أمسك «تختخ» بالورقتَين وأخذ يفحصهما جيدًا. كانتا من نوعٍ رخيص من الورق، وإحدى الحافَّات فيهما مشرشرة كأن الورقة قُطعت باليد، وكان على الأولى ثلاثة أرقام ٣٤/٣٧/٥، والثانية ٤٥/٢٢/٣، ولم يكن في الورقتَين أي شيءٍ آخر، سوى أنهما مكتوبتان بالقلم الرصاص، بخطٍّ رديء.

قال الشاويش: هل فهمتَ شيئًا؟

تختخ: لم أفهم الآن شيئًا، ولكني سأحاول.

ثم أخرج دفتر مذكراته، وقيَّد الأرقام، وشكر الشاويش «كرم» على مساعدته، وخرج إلى الطريق.

كانت مهمة «تختخ» الثانية أن يبحث عن بائع الخبز، وبعد تفكيرٍ قرَّر أن ينتظره في البيت؛ فهو يُوزِّع لهم الخبز مرتَين في اليوم؛ الأولى في الصباح والثانية في المساء، وسيكون من السهل مقابلته عندما يحضر.

وهكذا ركب «تختخ» دراجته واتجه إلى البيت في انتظار عودة الأصدقاء، ليسألهم عن تحرياتهم بالنسبة لساعي البريد وبائع الخضار، ولم تمضِ سوى دقائق حتى حضر الجميع، وكان «تختخ» يتأمَّل الأرقام أمامه في استغراقٍ شديد، محاوِلًا أن يستنتج منها أي شيء. دخل الأصدقاء الأربعة، وبعد أن تبادل الجميع التحيَّة قال «مُحب»: لقد استطعنا العثور على بائع الخضار قرب السوق وهو يجر عربته، وقال لنا إنه حضر إلى مكان

الحادث بعد سماعه صوت استغاثة السيدة، وكان «عطوة» بائع الخبز في الدور الثاني محاوِلًا اللحاق باللص، وقال بائع الخضار إنه لم يرَ اللص على الإطلاق.

سأل «تختخ»: وما هو شكل بائع الخضار هذا؟

نوسة: إنه رجلٌ صعيدي متوسِّط العمر، يرتدي جلبابًا أزرق وفي قدمه عرج خفيف، وهو متوسِّط الحجم ولا يمكن أن يكون بالحجم الذي وصفته للص.

وقبل أن يسأل «تختخ» «عاطف» كانت «لوزة» قد انطلقت قائلة: إن كل ما قاله بائع الخضار، ينطبق على ما قاله ساعي البريد، ولكن أوصاف الرجلَين تختلف؛ فساعي البريد رجلٌ عجوز، ونحن كلنا نعرفه منذ سنوات، ولا يمكن أن يكون هو الذي ارتكب هذه السرقة.

قال «تختخ»: لم يبقَ أمامنا ممن شهدوا الحادث إلَّا بائع الخبز، وسوف يحضر في المساء كالمعتاد، وسأقوم بمقابلته والحديث معه.

لوزة: ولكن أليست هناك أدلةٌ جديدة تُساعدنا في البحث عن اللص ذي القدم الكبيرة؟

تختخ: هناك شيء قد لا يكون دليلًا على الإطلاق، وقد يكون دليلًا هامًّا، ذلك متوقِّفٌ على ما تستطيع فهمه منه، إنه ورقةٌ مكتوبٌ عليها ثلاثة أرقام منفصلة، وورقةٌ ثانية عليها ثلاثة أرقام أخرى، الأولى مكتوبٌ عليها ٥ / ٣٧ / ٣٤، والثانية ٣ / ٢٢ / ٤٥، وقد فكَّرت طويلًا في معنى هذه الأرقام، ولكنني لم أصل إلى نتيجة، فهل عندكم اقتراحات؟

قالت «لوزة» بسرعة: قد تكون أرقام تليفونات مثلًا!

تختخ: فكَّرت في هذا، ولكن أرقام التليفونات لا تُكتب منفصلة.

لوزة: قد تكون مكتوبةً بهذه الطريقة للتمويه والتضليل.

تختخ: لا بأس، سوف نُجرِّب.

عاطف: وقد تكون أرقام سيارة.

نوسة: أو أرقام منازل.

تختخ: كلها آراء معقولة ... ويمكن بحثها. بالنسبة للتليفونات سنتصل بهذه الأرقام بعد أن نُلغي الفواصل التي بينها، وبالنسبة للسيارات يمكن متابعة السيارات عن طريق المفتش «سامي»، ولكن ليست هناك أرقام منازل في «المعادي»، ولا في أي مكانٍ آخر بهذا الطول.

مُحب: على كل حال، سنقوم بتجرِبة كل اقتراح، وسوف نصل إلى اعتبار الأرقام دليلًا على شيء، أو أن لا علاقة لها على الإطلاق بالحادث.

الشبح يتحرَّك

قام «تختخ» إلى التليفون ومعه الأصدقاء، فجرَّب الرقم الأول بعد أن وضع الأرقام بجوار بعضها ٣٤٣٧٥، وعندما دقَّ جرس التليفون في الطرف الآخر دقَّ قلب «تختخ» أيضًا، وكان المتحدِّث طفلةً صغيرةً ظريفةً قالت لـ «تختخ» إن اسمها «هادية»، وقالت «هادية» إن والدها هو القاضي الأستاذ «محمد الدمرداش»، وشكرها «تختخ»، ثم وضع السمَّاعة قائلًا: أظن أن القضاة هم أبعد الناس عن الحوادث، فلْنتصل بالرقم الآخر ونرى.

وجرَّب «تختخ» الرقم الثاني ٤٥٢٢٣، وردَّت سيدةٌ سألت «تختخ» عمَّا يُريد، فقال إنه يبحث عن الأستاذ «مدحت»، وهو بالطبع اسم اخترعه «تختخ»، فقالت السيدة إنه ليس هناك أحدٌ بهذا الاسم؛ فرقم التليفون هو رقم مدرسة، وليس بين الأساتذة أحدٌ بهذا الاسم ... وضع «تختخ» السمَّاعة مرةً أخرى قائلًا: هكذا ضاع أول اقتراح في الهواء، فما دخل المدارس في حوادث السرقة؟!

نوسة: بقي أمامنا أرقام السيارات، وأرقام البيوت ...

تختخ: سنُجرِّب، ولكن المهم الآن هو مقابلة بائع الخبز «عطوة»، فقد نجد عنده معلومات تُفيدنا.

وتفرَّق الأصدقاء، وبقي «تختخ» في البيت ينتظر حضور بائع الخبز، وفي الموعد الذي اعتاد فيه الحضور سمعه «تختخ» وهو يتحدَّث مع الطبَّاخة، فخرج مسرعًا إليه وكله أمل في أن يجده بالحجم الذي يُناسب الأقدام الكبيرة، ولكن خاب ظنه؛ فقد كان بائع الخبز رجلًا ضئيل الحجم، نحيفًا يحمل سلة الخبز مغطاةً بالقماش، واستنتج «تختخ» أنه رجلٌ نظيف ما دام يهتم بتغطية الأرغفة.

وبعد تحيةٍ سريعة قال «تختخ»: أظن أنك «عطوة» الذي طارد اللص في فيلا السيدة «بهيجة»؟

قال «عطوة» بلهجة التفاخر: نعم، وقد طاردت اللص فعلًا.

تختخ: هل تقصد أنك رأيته.

عطوة: لا، ولكني لم أتردَّد في الدخول إلى البيت، والصعود إلى الدور الثاني لمطاردته، برغم أن ذلك قد يُعرِّضني للخطر؛ فقد كان من الممكن أن يعتدي اللص عليَّ.

تختخ: ألم تجد أي دليل على وجود اللص قريبًا منك في الدور الثاني؟

عطوة: مطلقًا.

تختخ: هل عندك فكرة حول طريقة سرقة الجواهر؟

عطوة (بسخرية): إنني لست مخبِرًا، ولا من هواة حل الألغاز مثلك، إنني فقط رجلٌ يُؤدِّي واجبه.

لم يُعجِب «تختخ» أسلوب السخرية الذي استخدمه «عطوة»، فدخل إلى غرفته وهو يشعر بالغضب الشديد.

قضى «تختخ» بقية الأُمسية وهو يُفكِّر في اللغز، وكلما حاول أن يجد فيه مخرجًا؛ وجده يزداد غموضًا. ونام وما تزال الخيالات تدور برأسه، ولم يكن يتصوَّر أنه سيستيقظ في الصباح على حادثٍ آخر.

ولكن هذا ما حدث فعلًا، فلم يكد يتناول طعام الإفطار حتى دقَّ جرس التليفون، وكان المتحدِّث هو المفتش «سامي».

قال المفتش: آسف جدًّا لأني لم أستطِع أن أنتظرك يوم الحادث الأول؛ فقد وصلتني مكالمة تليفونية عاجلة، واضطُررت إلى مغادرة «المعادي» على الفور.

تختخ: هل تقول الحادث الأول؟! هل يعني هذا أن هناك حادثًا ثانيًا وقع اليوم؟

المفتش: إنني أتصل بك الآن لهذا السبب، لقد تحرَّك اللص مرةً أخرى وسرق اليوم مجموعةً من الساعات والأقلام الثمينة من أحد المنازل، وقد أبلغني الشاويش «علي» بهذا الحادث منذ دقائق، فرأيت أن أتصل بك، هل وصلت إلى أي استنتاجٍ عن الحادث الأول؟

تختخ: لا! للأسف إن هذا اللص الشبح، أو اللص ذا القدم الكبيرة يُدبِّر حوادثه ببراعةٍ شديدة، حتى أظن أنه يستعمل طاقية الإخفاء كما تقول الأساطير.

ضحك المفتش وهو يقول: طاقية الإخفاء … إن هذا تعبير ظريف حقًّا، ولكن ليس هناك بالطبع شيء اسمه طاقية الإخفاء أو خاتم سليمان، وعليك أن تقوم باستعمال عقلك كالمعتاد.

تختخ: سوف أُحاول يا سيادة المفتش، وبالمناسبة أرجو أن تُكلِّف أحد رجالك ببحث الأرقام التي وجدناها في مكان الحادث؛ فقد تكون أرقام سيارات وتدلنا على شيء.

المفتش: فكَّرتُ نفس التفكير، وللأسف فقد اتضح أن أحد الأرقام لسيارةٍ أُصيبت في حادثٍ منذ شهور، ولم تُجدَّد الرخصة، والثانية لسيارة أحد الأطبَّاء وهو رجلٌ محترم ولا تحوم حوله أية شبهة.

تختخ: إن الغموض يتزايد يا سيادة المفتش.

المفتش: فعلًا، ولكن هناك شيئًا مضحكًا جدًّا في الموضوع؛ فالمنزل الذي سُرق اليوم لأحد أقاربي، وهو المنزل رقم «٦» شارع «٤٠».

تختخ: هذا غير معقول!

المفتش: بالعكس، إنه معقول جدًّا؛ فهذا يُثبت أن باب النجَّار مخلَّع كما يقول المثل، ولعل اللص يتحدَّاني أيضًا.

تختخ: على كل حال، أرجو أن تجدوا حلًّا سريعًا للغز، حتى لا تحدث سرقةٌ أخرى، وللأسف إنني مشغولٌ جدًّا هذه الأيام، ولا أستطيع بحث المسألة بنفسي.

وبعد أن تبادل «تختخ» والمفتش التحية، أغلق «تختخ» التليفون، وجلس يُفكِّر لحظات، ثم انطلق مسرعًا على دراجته إلى مكان الحادث الثاني، بعد أن اتصل بالأصدقاء ليلحقوا به إلى هناك.

عندما وصل «تختخ» إلى المكان كان الشاويش «فرقع» هناك، ولم يكد يرى «تختخ» حتى احمرَّ وجهه من الغضب، ولكن «تختخ» رحَّب بعودته إلى «المعادي» قائلًا: لعل فترة التدريب التي قضيتَها في القاهرة تُساعدك على حل هذا اللغز بسرعة.

الشاويش: لا دخل لك في التدريب، ولا في غيره.

وكان الشاويش يُفكِّر في وسائل التنكُّر التي تدرَّب عليها، والتي ستجعله يتغلَّب على «تختخ» في التنكُّر، وفي القبض على اللصوص.

ووصل بقية الأصدقاء، وكان الشاويش يستجوب الشغَّالة التي كانت موجودةً بالمنزل ساعة وقوع الحادث، فقالت إنها كانت تعمل في غرفة الصالون بالدور الأرضي، عندما سمعت صوت أقدام بالدور العلوي، فصعدت عن طريق السلم الداخلي، الذي يصل بين الدور الأول والثاني، ولكنها لم تجد أحدًا، ولاحظت أن أدراج التسريحة في غرفة النوم مفتوحة، وقد أُخذت منها مجموعة من المجوهرات التي تخص سيدة البيت، فصرخت ونزلت لتتصل بالشرطة، فوجدت «عطوة» بائع الخبز يدخل من باب الحديقة، فروت له ما حدث، ثم اتصلت بالشرطة.

قال «تختخ»: هل سمعتِ صوتًا يُشبه نباح الكلب مع صوت الأقدام؟

الشغالة: نعم ... تذكَّرت الآن أنني سمعت مثل هذا الصوت.

كانت ظروف الحادث الثاني تُشبه ظروف الحادث الأول، وبدأ البحثَ عن آثار اللص.

وجد «تختخ» والأصدقاء نفس الآثار في مكان السرقة، آثار القفَّاز الكبير، ثم آثار الأقدام الكبيرة، وتلك الدائرة ذات الخصوص في الأرض المبتلَّة في الحديقة. قال «تختخ»: إنه اللص الشبح ... أو اللص ذو القدم الكبيرة كما تُسمِّيه «لوزة». لقد سرق مرةً أخرى دون أن يراه أحد، وانصرف كأنه تبخَّر في الهواء، أو طار في السماء، ولم يترك سوى آثاره.

حاول الأصدقاء أن يجدوا قصاصات الورق كالتي تركها اللص في الحادث الأول، ولكن لم تكن هناك قصاصات هذه المرة.

وهكذا عاد الأصدقاء، وقد تركوا الشاويش يستجوب الشغَّالة التي كانت تبكي خوفًا من أصحاب البيت الذين كانوا في الخارج، وكانت تخشى أن يتَّهموها بالسرقة.

وفي غرفة العمليات في منزل «تختخ» جلس الجميع صامتين ... لا اقتراحات، ولا استنتاجات ... ولا أي شيء على الإطلاق.

وأخيرًا قال «مُحب»: يبدو أن هذا اللغز فوق طاقتنا؛ فنحن نُواجه لأول مرة لصًّا من طرازٍ فريد، قادر على أن يتحرَّك دون أن يراه أحد، برغم أنه يسرق في وضَح النهار، وأنا أقترح أن نكف عن البحث في هذا الموضوع.

قالت «لوزة» بحماسة: هذا لا يمكن أن يحدث! كيف يُقر المغامرون الخمسة بفشلهم، خاصةً بعد أن اتصل المفتش بنا، وطلب من «تختخ» أن نقوم بمساعدة الشرطة؟

قال «تختخ» في وجوم: لم يبقَ أمامنا سوى الأرقام، تعالَوا نُفكِّر فيها مرةً أخرى ... لقد قالت «نوسة» إنها قد تكون أرقام منازل، ولعلها تكون منازل ينوي اللصوص سرقتها، المهم الآن أن نعرف أين توجد هذه الأرقام.

عاطف: لقد طرأت لي فكرة حول هذه الأرقام، فلو أننا تجاهلنا الرقم الأول، فمن الممكن أن يكون الرقم الثاني هو رقم منزل، والرقم الثالث هو رقم شارع ... ونحن عادةً في «المعادي» نكتب العناوين من رقمَين؛ رقم المنزل ثم رقم الشارع، باعتبار أن جميع الشوارع في «المعادي» بالأرقام.

تختخ: هذه فكرةٌ معقولة جدًّا يا «عاطف»، وسنُقسم أنفسنا إلى فرقتَين للبحث؛ أنت و«لوزة» تبحثان عن المنزل الأول، و«مُحب» و«نوسة» يبحثان عن المنزل الثاني، أمَّا أنا فسوف أتنكَّر في شكلٍ ما، وأقوم بالمراقبة.

مغامرات ... ولكن

اكتشف الأصدقاء وجود منزلَين يحملان الأرقام التي كانت في قصاصات الورق، وذلك بعد استبعاد الرقم الأول في سلسلة الأرقام الثلاثة.

كان المنزل الأول رقم «٣٧» في شارع «٣٤»، قريبٌ جدًّا من الكورنيش، وتولَّى «تختخ» المراقبة بعد أن تنكَّر في ثياب متسوِّل، وجلس في مواجهة المنزل يُراقبه، وكم كانت دهشة «تختخ» عندما اكتشف وجود متسوِّل آخر في نفس الشارع! وخُيِّل له أنه يقوم بالمراقبة مثله.

دُهش «تختخ» كثيرًا لوجود هذا المتشرِّد، وبدلًا من أن يُراقب المنزل أخذ يُراقب المتشرِّد، وقد انشغل «تختخ» بهذه المراقبة فلم يذهب لمراقبة المنزل الثاني، وقام بقية المغامرين الخمسة بهذه المهمة، وكانوا يجتمعون كل مساء لمناقشة المعلومات التي حصلوا عليها طول النهار، ولكن هذه المعلومات لم تُؤدِّ إلى أي نتيجة، وهكذا قرَّر «تختخ» مراقبة المتسوِّل الذي كان رجلًا ضخم الجسد إلى حدٍّ ما، فهل من الممكن أن يكون هو اللص؟ وهل يقوم بالمراقبة لانتهاز فرصة غياب السكَّان من المنزل حتى يقوم بسرقته الثالثة؟

وفي اليوم الرابع لاحظ أن وجوده قد لفت نظر المتسوِّل، وبدا كأنهما يقومان بمراقبة أحدهما الآخر.

وقرَّر «تختخ» في النهاية أن يتبع المتشرِّد بعد انصرافه في هذا اليوم، حتى يعرف أين يسكن، وقد كان في نفس «تختخ» شعورٌ خفي أنه يعرف هذا المتسوِّل، وأن حركاته ليست غريبةً عنه.

وهكذا عندما اقترب مساء اليوم الرابع وتحرَّك المتسوِّل تاركًا مكانه، تحرَّك «تختخ» خلفه من بعيد، وأخذ يتبعه من شارعٍ إلى شارع دون أن يُحس المتشرِّد أن هناك من يتبعه.

وعندما انتهت المطاردة أخذ «تختخ» يضحك كأنه أُصيب بشيءٍ من الجنون ... نتيجة المراقبة التي كانت مذهلة.

وعندما اجتمع الأصدقاء في منزل «تختخ» في هذه الأمسية الرقيقة من أمسيات الصيف، ضحكوا كثيرًا عندما عرفوا الحقيقة من «تختخ»، حقيقة المتشرِّد الذي كان يرقب المنزل رقم «٣٧» بشارع «٣٤»، فلم يكن إلَّا الشاويش «فرقع»!

قال «تختخ» بعد أن ضحك الأصدقاء طويلًا: لقد كنتُ أشعر من البداية أن هذا المتسوِّل ليس غريبًا عني، بل لقد كنت أُحس طول الوقت أنني أعرفه، ولكني لم أستطِع أن أتذكَّر متى رأيته ... ولكن عندما رأيته يقترب من مسكن الشاويش ثم يدخل عن طريق الحديقة، تذكَّرت كل شيء فجأة ... لقد ذهب الشاويش للتدريب على وسائل محاربة اللصوص وتعلَّم التنكُّر، ولم يكد يعود إلى «المعادي» حتى بدأ فورًا يُطبِّق ما تعلَّمه، ولا شك أن عنده مجموعةً كبيرةً من أحدث أدوات التنكُّر، وسوف يُفاجئنا بين حينٍ وحين بشخصيةٍ مختلفة.

قدَّم «مُحب» تقرير الأصدقاء عن المنزل الآخر فقال: لم نُلاحظ شيئًا غير عادي أمام المنزل أو بداخله. إنه منزلٌ ككل المنازل، ويسكن فيه أحد الموظفين وزوجته وثلاثة أطفال، وقد رأينا بائع الخبز، وبائع الخضار وساعي البريد وهم يتردَّدون على المنزل، ولكننا لم نرَ أشباحًا، ولا لصوصًا، ولا أي شيء له علاقة بحوادث السرقة.

لوزة: لقد وصلنا إلى طريقٍ مقفل في هذا اللغز؛ فليس عندنا أدلة أخرى من أي نوع نتبعها، ويبدو أنكم كنتم على حقٍّ عندما قلتم إننا لن نستطيع عمل شيء آخر.

تختخ: سوف أقضي هذه الليلة في مراجعة كل المعلومات التي جمعناها حول اللص الشبح؛ فقد تخطر لي فكرة غدًا عن كيف يتحوَّل الإنسان إلى شبح، أو كيف يسرق اللص في وضَح النهار دون أن يراه أحد.

وتفرَّق الأصدقاء ... ولكن اليوم الثاني كان يحمل معه أنباءً هامة؛ مجموعةٌ أخرى من المجوهرات سُرقت من منزل أحد المواطنين، وكان الشاويش «فرقع» يكاد يُفرقع فعلًا من فرط الضيق، حتى إنه لم يكد يرى الأصدقاء في مكان الحادث حتى صاح فيهم: ابتعدوا عني ... فرقعوا من هنا حالًا وإلَّا قبضت عليكم بأي تهمة ... إنكم تُعطِّلون عملي.

ولم يكن الأصدقاء في حاجةٍ إلى مزيدٍ من الصيحات حتى ينصرفوا؛ فلم يكن هناك جديد يمكن أن يبقوا من أجله ...

لقد كانت هناك نفس الآثار ... آثار الحذاء الضخم ذي النعل الكاوتش، وآثار القفَّاز الضخم على الحائط ... وبرغم استجواب بائع الخضار والجرائد والخبز وسمكري الحنفيات وساعي البريد، وكل من تردَّد على المنزل في ذلك الصباح، ولكن أحدًا منهم لم يرَ اللص ... كل ما حدث أن صاحب البيت سمع سعال اللص الذي يُشبح نباح الكلب، ثم صعد إليه فلم يجده.

وعندما اجتمع الأصدقاء قال «تختخ» بيأس: ما رأيكم؟ إنني أكاد أفقد عقلي!

نوسة: لقد فكَّرت في فكرةٍ جنونية ... هل يمكن أن يكون اللص كلبًا مدرَّبًا، ما دام الضحايا يسمعون في كل مرة سُعالًا أشبه بنباح الكلب؟

مُحب: هذا كلامٌ فارغ! هل هناك كلب يفتح الدواليب والأدراج، ويختار الأشياء الثمينة ويسرقها؟ وهل يلبس الكلب حذاءً ضخمًا مقاس «٤٧» وقفازًا كبيرًا؟!

تختخ: غير معقول طبعًا، إنه إنسان ... شخص ... رجل ... ولكنه ذكي وبارع جدًّا، بحيث يستطيع أن يرتكب هذه السرقات دون أن يراه أحد، ثم يترك آثارًا واضحةً ولكن لا أحد يمكن أن يستدل منها على شيء.

لوزة: لقد فكَّرت في فكرةٍ مضحكة أيضًا، ولكنها على كل حال أفضل من فكرة «نوسة» التي تصوَّرت اللص كلبًا ... إن «تختخ» يقول إنه يُقدِّر مقاس حِذاء اللص برقم «٤٧»، وهو رقمٌ نادر وقليل، فأنا مثلًا ألبس حذاءً مقاس «٢٦»، وأخي «عاطف» يلبس حذاءً مقاس «٣٢»، ووالدي يلبس حذاءً مقاس «٤٢»، وليس في «المعادي» أشخاص يلبسون حذاء مقاس «٤٧» إلَّا قلة قليلة من الناس، فلماذا لا نُحاول حصرهم لعلنا نستطيع من هذا الطريق أن نصل إلى اللص؟

تختخ: يا لك من فتاةٍ ذكية! هذه هي الفكرة الممتازة حقًّا، فلو استطعنا أن نعرف الأشخاص الذين يلبسون أحذيةً مقاس «٤٧»، فمن المؤكَّد أن واحدًا منهم هو لص المجوهرات، الشبح ذو القدم الكبيرة ...

عاطف: إذن هناك أمل في الحصول على حل اللغز.

تختخ: بالتأكيد.

مُحب: ولكن هذه مهمة صعبة للغاية، فهل سنحمل مقاسًا وندور نبحث عن الناس، ونقيس أحذيتهم لنعرف مقاساتهم، ثم نقبض عليهم؟!

تختخ: إنها مهمةٌ صعبة للغاية، ولكنها فعلًا أحسن طريقة للوصول إلى هذا اللص العجيب، ومهما بذلنا من جهدٍ فيكفي أننا سنحل هذا اللغز الذي تحدَّانا كما لم يتحدَّانا لغزٌ من قبل.

وقضى الأصدقاء بقية اليوم يضعون خطة البحث عن الأحذية مقاس «٤٧»، فاتفقوا على أن يقوم كلٌّ منهم بجولةٍ في المحلَّات التي تبيع الأحذية في «المعادي»، لعلهم يعرفون من الذي يشتري هذا المقاس الشاذ.

وقد اختار «تختخ» المحل الرئيسي في السوق ليذهب إليه في اليوم التالي، ويسأل عن حذاءٍ بهذا المقاس، بدعوى أنه سوف يُهديه إلى عمه، وبهذه الطريقة يمكن أن يصل إلى المعلومات التي يُريدها.

وفي صباح اليوم التالي، قفز «تختخ» على دراجته وتبعه «زنجر»، وانطلق إلى السوق، وكان بقية الأصدقاء قد توجَّه كلٌّ منهم إلى محلٍّ للأحذية ليسأل نفس السؤال.

وصل «تختخ» مبكِّرًا إلى المحل قبل أن يزدحم بالزبائن، فوقف يتفرَّج قليلًا على الأحذية التي في واجهة المحل، خاصةً الأحذية الرجالي، كان يبحث عن حذاءٍ من مقاسٍ كبير ليبدأ الحديث مع صاحب المحل عنه، ولكنه لم يجد حذاءً واحدًا أكبر من مقاس «٤٥» كما قدَّر.

وقد صحَّ تقدير «تختخ»؛ فعندما استقبله صاحب المحل وسأله عن طلبه قال «تختخ»: أُريد حذاءً هديةً لعمي مقاس «٤٧» أو أكبر، قال الرجل في دهشة: إن عمك رجلٌ عملاق حقًّا … فقلةٌ قليلة من الناس من يرتدي هذا المقاس الكبير!

تختخ: وهل أجد عندك هذا المقاس؟

الرجل: آسف … نحن لا نُحضر مثل هذا المقاس إلَّا بالطلب؛ ذلك أننا لا نجد من يشتريه، ونحن عادةً نُحضر أحذيةً من المقاس المتوسِّط؛ أي بين «٣٦» إلى «٤٥»، وأكثر الأحذية في مصر بين «٣٩»، «٤٣» للرجال.

تختخ: ألم يطلب منك أحدٌ تفصيل حذاء من هذا المقاس؟

الرجل: منذ زمنٍ بعيد لم يحدث هذا، فنحن لا نقوم بالتفصيل، وفي «المعادي» كلها لا يوجد إلَّا محل واحد أو محلَّان يقومان بالتفصيل؛ أحدهما قرب الكورنيش، عند الشجرة الكبيرة في بداية «المعادي»، أمَّا الثاني فلا أذكر مكانه بالضبط، وإن كان على كل حال قرب وسط السوق.

وشكر «تختخ» الرجل على هذه المعلومات، وفكَّر في أن يذهب للبحث عن هذين المحلَّين، ولكنه في النهاية قرَّر الاتجاه إلى منزله ليُقابل الأصدقاء، لعلهم يكونون قد عثروا على محلٍّ يبيع أحذيةً من المقاس الكبير.

عاد «تختخ» إلى منزله، ولم يكن أحدٌ من الأصدقاء قد حضر بعد، وهكذا قضى «تختخ» الوقت في إعادة النظر في المعلومات التي جمعها من الحوادث الثلاثة، فهو يؤمن بأن إعادة

القراءة مهمة جدًّا، وهو في الامتحانات يقوم بنفس الشيء، يقرأ ورقة الأسئلة عدة مرات قبل أن يُجيب، ثم يقرأ الإجابات أكثر من مرة قبل أن يُسلِّم الورقة، وكثيرًا ما عدَّل الإجابات بعد قراءتها.

وحضر «مُحب» أولًا، وكان مدهشًا أنه حصل على نفس المعلومات أيضًا، ثم حضر بقية الأصدقاء، وكانوا جميعًا يحملون نفس الإجابات، ولكنهم حصلوا أيضًا على عنوان المحلَّين اللذين يقومان بتفصيل الأحذية، فقرَّر «تختخ» أن يتوجَّه إليهما وحده، وانصرف الأصدقاء، على أن يتصل بعضهم ببعض تليفونيًّا بعد عودة «تختخ» من مهمته.

لم يجد «تختخ» صعوبةً في الوصول إلى المحل الأول في وسط «المعادي»، وكان محلًّا صغيرًا، ليس فيه سوى رجل واحد وعاملَين، كان الرجل يلبس نظارةً طبيةً سميكة، وكان نحيلًا، واستقبل «تختخ» بغير اهتمام.

قال «تختخ»: أُريد أن أُفصِّل حذاءً لعمي مقاس «٤٧»، فهل هذا ممكن؟

ردَّ الرجل في ضيق: غير ممكن.

تختخ: لماذا؟! هل ليس عندكم قالب بهذا المقاس؟

الرجل: عندنا القالب، ولكن المسألة ليست مسألة القالب وحده، لا بد أن نأخذ مقاس القدم نفسها، لنعرف عرضها أيضًا؛ فهناك أقدامٌ عريضة وأخرى ضيقة، كما يجب أن نعرف ارتفاع القدم.

تختخ: وهل كل الناس الذين يُفصِّلون أحذيتهم لا بد من أخذ مقاساتها بهذه الطريقة؟

الرجل: طبعًا، هل تظن أنها لعبة، إن تفصيل حذاء عملية فنية.

تختخ: إن الحصول على حذاءٍ لعمي عملية صعبة حقًّا، فماذا أفعل الآن؟

الرجل: ليس هناك حل سوى إحضار عمك شخصيًّا. قال «تختخ» وهو يقترب من الغرض الذي حضر من أجله: أليس عندكم زبون يلبس مقاس «٤٧»، يمكن تفصيل الحذاء على مقاسه؟

ردَّ الرجل بغضب: هذا لا يمكن ... وليس عندنا سوى مقاس الشاويش «علي»، وهو برغم حجمه العادي، يستعمل أحذيةً ضخمةً كعادة رجال الشرطة، وهناك مقاس الأستاذ «حمدي» وهو بطل الرياضة، ولكنه ضخم جدًّا.

خفق قلب «تختخ» وهو يسمع هذه المعلومات ... فشكر الرجل وانصرف، ولم يكد يصل إلى الطريق حتى أخذ ذهنه يعمل بسرعة: رياضي ... وضخم جدًّا ... هذا هو الرجل الذي نبحث عنه؛ فالرياضي سهل الحركة، ويمكنه أن يتحرَّك بسرعة، ويمكن أن يكون لصًّا نموذجيًّا.

وبدلًا من أن يكتفي «تختخ» بهذه المعلومات، قرَّر أن يتوجَّه إلى المحل الآخر، فمن الأفضل باستمرارٍ أن يستكمل الإنسان معلوماته عن العمل الذي يقوم به، حتى يمكن اتخاذ قرار صحيح، وهكذا اتجه «تختخ» إلى الكورنيش، فاستمتع فترةً بالنسيم العليل ومنظر الأشجار الخضراء على امتداد الكورنيش.

وصل «تختخ» إلى المحل، واستقبله صاحبه استقبالًا طيبًا، ودار بينهما نقاش قريب جدًّا ممَّا دار بين «تختخ» وصاحب المحل الأول، ثم حصل «تختخ» على اسمٍ جديد يستعمل حذاء مقاس «٤٧» أيضًا، هو اسم اللواء «سيف الدين»، وهو شخصيةٌ عسكرية معروفة، وقد أُحيل إلى المعاش منذ شهور، وكان والد «تختخ» يتحدَّث عنه أحيانًا باحترامٍ شديد.

عاد «تختخ» إلى بيته مسرعًا، فاتصل بالأصدقاء، وبعد دقائقَ كانوا جميعًا يجلسون وأمامهم المعلومات الجديدة، ولم يكن من الصعب عليهم الحصول على عنوان الرياضي «حمدي» واللواء «سيف الدين»، أمَّا الشاويش فكان عنوانه معروفًا لديهم.

قال «تختخ»: نحن لا نستبعد أحدًا، فالمخبر الذكي لا يترك شيئًا دون بحث، ولا يترك شخصيةً دون أن يعرف كل شيء عنها، ونحن في هذه الحالة أمامنا ثلاثة أشخاص، هم: الشاويش «فرقع»، والرياضي «حمدي»، واللواء «سيف الدين»، ونحن نستبعد بالطبع من قائمة المشتبه فيهم الشاويش، لا لأننا نعرفه، أو لأنه من رجال الشرطة، ولكن لأنه لم يكن في «المعادي» يوم وقوع الحادث الأول، وهكذا يبقى عندنا اثنان؛ «حمدي الرياضي» واللواء «سيف الدين» فما هي آراؤكم؟

مُحب: إنني أقترح أن نبدأ من اليوم في جمع المعلومات عنهما، على أن ننقسم إلى فريقَين أيضًا، فهذا يُسهِّل حركتنا.

تختخ: أوافق، وسأقوم أنا بزيارة اللواء «سيف الدين» لأنه صديق والدي، ومعي «لوزة» ... وعليكم جمع المعلومات عن «حمدي».

القدم الكبيرة

استيقظ «مُحب» مبكرًا، وبعد الإفطار نزل هو و«نوسة»، وتوجَّها إلى منزل «عاطف» حيث كان في انتظارهما، فاتجه الثلاثة إلى عنوان «حمدي»، أمَّا «لوزة» فذهبت إلى «تختخ».

اقترب الثلاثة من منزل «حمدي»، كانت نوافذه مغلقة، والباب مُغلق، ولا أثر للحياة في البيت.

قال «مُحب»: شيءٌ غريب! هل ما زال الرياضي نائمًا حتى الآن؟ إن الرياضيين عادةً يستيقظون مبكرين.

عاطف: إنها ملاحظة مهمة فعلًا وعلينا أن نعرف، فلعله يكون قد خرج قبل أن نأتي.

كان هناك كشك يبيع المثلجات قريبًا من البيت، فاتجه الثلاثة إليه، وطلبوا ثلاث زجاجات من الكوكاكولا، وكانت فرصةً لتبادل الحديث مع البائع.

قالت «نوسة»: هل زبائنك كثيرون يا عم؟

رد الرجل: الحمد لله ... إن الجميع هنا يُحبونني؛ فأنا في هذا المكان منذ زمنٍ بعيد، وأعرف كل السكان، وهم يعرفونني أيضًا.

نوسة: هل تعرف «حمدي»؟

الرجل: الأستاذ «حمدي» المدرِّس؟

نوسة: هل هو مدرِّس؟

الرجل: نعم إنه مدرِّس لغة إنجليزية ... ويسكن في هذا المنزل.

وأشار الرجل إلى منزلٍ آخر غير منزل «حمدي» الذي ذهب إليه الأصدقاء.

قال «عاطف»: هل هو ضخم الجسم؟

ضحك الرجل قائلًا: ضخم الجسم؟! هل تقول نكتة؟ إنه قصيرٌ ورفيع مثل عود الكبريت ... ولكنه رجلٌ متعلِّم ومثقف.

مُحب: وهل هناك «حمدي» آخر؟

الرجل: لعلك تقصد الأستاذ «عبد الحميد»، إن الناس يُنادونه باسم «حمدي» أيضًا.

نوسة: نعم ... هذا هو الرجل الذي نبحث عنه، هل هو ضخم الجسم؟

الرجل: جدًّا فهو طويلٌ وعريض، وأولاد الحتة يُسمُّونه الدبَّابة.

ابتسم الأصدقاء لهذا التشبيه؛ ولأنهم وجدوا الرجل الذي يبحثون عنه أيضًا.

عاطف: وهل هو بطل رياضي فعلًا؟

الرجل: نعم إنه بطلٌ في رفع الأثقال، ولكنه هذه الأيام يعيش بطريقةٍ عجيبة.

ابتسم الأصدقاء لهذه الملاحظة، وقالت «نوسة» لتشجعه على الاستمرار في الحديث: ماذا تقصد يا عم بهذه الطريقة العجيبة؟

قال الرجل: إنني لا أُحب الحديث عن سكان الشارع، ولكن الأستاذ «حمدي» يخرج من مسكنه في الساعة الرابعة صباحًا، وأنا أراه لأنني أستيقظ في نفس الساعة لأصلي الفجر، ثم لا يعود إلَّا في الثالثة بعد الظهر، حيث يقضي في منزله ساعة، ويخرج مرةً أخرى ولا يعود إلَّا في العاشرة ليلًا.

كان هذا الحديث كافيًا، فانصرف الأصدقاء، وقد قرَّروا العودة في الثالثة ليروا «حمدي» عن قرب. وفعلًا انصرفوا إلى الكازينو حيث قضوا الوقت، وعندما اقتربت الساعة من الثالثة، عادوا إلى الشارع مرةً أخرى.

وقف الأصدقاء وكأنهم يُصلحون دراجاتهم قريبًا من منزل «حمدي»، وقال «مُحب»: أعتقد أننا سنرى اللص الآن، لقد تذكَّرت أن جميع حوادث السرقة التي يقوم بها اللص الشبح تقع في الصباح، ولعل «حمدي» يخرج مبكِّرًا لاختيار المسكن الذي سيسطو عليه، ثم يرتكب جريمته ويعود بغنيمته.

عاطف: إننا بهذا نكون قد وصلنا إلى حل اللغز الغامض بأسرع ممَّا كنا نتصوَّر.

في الثالثة تمامًا ظهر «حمدي»، وعرفوه من أوصافه التي قالها الرجل، وكان يحمل حقيبةً صغيرةً ممَّا يستعمله ركَّاب الطائرات، وكان ضخمًا قوي الجسم، ومن المؤكَّد أن مقاس قدمه لا يقل عن «٤٧»، وربما أكثر. وهكذا اطمأن الأصدقاء إلى أنهم عثروا على الرجل المطلوب، فغادروا مكانهم مسرعين، في طريقهم إلى «تختخ» لإخباره بكل ما حدث.

عندما وصلوا إلى مكان «تختخ» لم يجدوه، فأُصيبوا بالقلق، لقد أصبحوا قريبين من اللص ذي القدم الكبيرة ... اللص الشبح الذي لا يراه أحد، وهم لا يُريدون أن تضيع دقيقة واحدة ما دام اللص قد وقع.

حضر «تختخ» و«لوزة» فقابلهما الأصدقاء الثلاثة بعاصفةٍ من الكلام، كلٌّ منهم يُريد أن يُدلي بمعلوماته قبل الآخر، فرفع «تختخ» يده قائلًا: واحد ... واحد ... من فضلكم.

قالت «نوسة»: أعتقد أننا وصلنا إلى اللص الخفي ... إن كل المواصفات تنطبق عليه ... فهو ضخم الجسم ... سريع الحركة ... وفي حياته شيءٌ غريب ...

وأكمل «مُحب» قائلًا: إنه يخرج كل يوم في الرابعة صباحًا ولا يعود قبل الثالثة، ولا أحد يعرف ماذا يفعل في هذه المدة ...

وقال «عاطف»: ولعلك تذكر يا «تختخ» أن حوادث السرقات كلها حدثت في الصباح الباكر ... أي نحو التاسعة أو قبل ذلك بقليل.

نوسة: هناك شيءٌ هام؛ إنه يحمل حقيبةً صغيرةً في يده، يبدو أنها الحقيبة الصغيرة التي يُخفي فيها المسروقات.

لمعت عينا «تختخ» عندما سمع كل هذا، وقال في كلماتٍ بطيئة: وصلتم فعلًا إلى شيءٍ هام ... ويجب علينا ألَّا نترك هذه الفرصة تُفلت منا.

عاطف: وهل حصلتم على معلوماتٍ ذات قيمة عن اللواء «سيف الدين»؟

ردَّت «لوزة»: للأسف الشديد. إن اللواء «سيف الدين» وأسرته قد سافروا إلى المصيف، وليس هناك سوى البوَّاب، وبالطبع سيكون من المضحك أن نسأله عن حذاءٍ مقاس «٤٧».

مُحب: ما هي خطتك يا «تختخ» مع «حمدي»؟

تختخ: ليس أمامنا إلَّا مراقبة «حمدي» مراقبةً كاملة، أي نبدأ من الرابعة صباحًا حتى نعرف أين يذهب ... وعلى ضوء هذه المراقبة سوف نعرف كل شيء.

لوزة: هل ستذهب وحدك؟

تختخ: بالطبع؛ فلا يمكن المراقبة بطريقةٍ جماعية، وإلَّا لفتنا الأنظار إلينا.

وافترق الأصدقاء وهم يتوقَّعون أخبارًا هامةً في اليوم التالي، أمَّا «تختخ» فقد ذهب إلى فراشه مبكِّرًا، وضبط المنبه على الساعة الثالثة صباحًا؛ فقد قرَّر أن يستيقظ في هذه الساعة ليقوم بالتنكُّر، حتى يستطيع أن يمشي خلف «حمدي»، دون أن يلفت أنظار أحد إليه.

وفي الموعد المحدَّد دقَّ جرس المنبه، وكان «تختخ» شبه مستيقظ، فقام فورًا وارتدى ثياب المتسوِّل التي استخدمها منذ أيام، ثم تسلَّل من باب الحديقة الخلفي وانطلق إلى منزل «حمدي».

كانت شوارع «المعادي» خاليةً في هذه الساعة المبكِّرة من الصباح، وكأنها مدينة مهجورة، لولا رجال الشرطة الذين كانوا يتحرَّكون هنا وهناك ... وبعض المارة ممن تستدعي أعمالهم اليقظة المبكرة.

استقبلت «تختخ» نسائم الفجر الهادئة النظيفة، فأحسَّ بنشاطه يتجدَّد، وذهنه يصفو تدريجيًّا ... وصاح ديك ... ونبح كلب ... فكأن «المعادي» غابةٌ صغيرة تسكنها الحيوانات الأليفة ... خاصةً ورائحة الورود كانت تملأ الشوارع، وأغطية الأسوار الخضراء من اللبلاب ترسم صورة الغابة المهذَّبة فعلًا.

ووصل «تختخ» إلى منزل «حمدي» والساعة تقترب من الرابعة، فتلفَّت حوله وهو لا يتوقَّع أن يرى أحدًا ... ولكن كانت هناك مفاجأة في انتظاره؛ لقد كان هناك متسوِّل آخر يقف قريبًا منه ... لم يشكَّ «تختخ» لحظةً واحدةً أنه الشاويش «فرقع».

لقد أثبتت دورة التدريب التي حضرها الشاويش أنها أفادته جدًّا؛ فها هو ذا لأول مرة يسير في الطريق الصحيح ... ويصل إلى المتهم بسرعة ... وقال «تختخ» في نفسه: لقد سبقنا الشاويش هذه المرة ... وهو بالطبع يملك سلطة القبض على المتهمين ... ولعله يقبض على «حمدي» اليوم ... وينتهي اللغز ... وتنتهي قصة القدم الكبيرة كلها.

وفي الرابعة صباحًا بالضبط، فُتح الباب، وظهر «حمدي» على عتبته، يحمل الحقيبة الصغيرة ... ولكنه كان يرتدي ملابس رياضية ... «شورت» وفانلةً وحذاءً من الكاوتش.

اهتمَّ «تختخ» بالحذاء ... كان ضخمًا وله نعل من الكاوتش ... فلم يشك «تختخ» لحظةً واحدةً في أن «حمدي» هو اللص ذو القدم الكبيرة.

أغلق «حمدي» باب مسكنه بالمفتاح، ثم سار بهدوء فتتبعه المتسوِّلان اللذان لم يكونا إلَّا «فرقع» و«تختخ».

كان «حمدي» يسير بنشاط، فاضطرا المتسوِّلان إلى متابعته، ولكن سرعته بدأت تزيد تدريجيًّا فاضطرا إلى الجري. ولَمَّا وصل إلى الكورنيش اتجه إلى باب أحد الشركات، حيث ترك حقيبته مع البوَّاب، ثم انطلق يجري ... فلم يتردَّد الشاويش «فرقع» في الجري خلفه، أمَّا «تختخ» فقد ابتسم ... لقد فهم كل شيء ... وحتى يتأكَّد اقترب من البوَّاب الذي ترك معه «حمدي» الحقيبة، وسأله: هل هذا هو الأستاذ «حمدي» ... الرياضي المعروف؟ نظر إليه البوَّاب في احتقار وقال: وهل يُهمك أن تعلم هذا؟

تذكَّر «تختخ» أنه يلبس ثياب المتسوِّل فقال في ذلة: نعم ... لقد كنت أعرفه وهو صغير ... وكنت أيامها بطلًا كما هو الآن.

أحسَّ البوَّاب أنه تسرَّع في احتقاره لهذا المتسوِّل فقال: إنه فعلًا «حمدي» الرياضي المشهور … وهو يقوم بهذا التدريب يوميًّا لإنقاص وزنه، فيلف «المعادي» بقدر ما يستطيع، ثم يعود إلى الشركة في موعد دخول الموظفين، حيث يأخذ حمَّامًا، ثم يرتدي ملابسه التي يتركها معي في هذه الحقيبة، ويقوم بعمله الذي ينتهي في الثانية والنصف.

شكر «تختخ» البوَّاب، لقد استنتج كل هذه المعلومات بمجرَّد أن رأى «حمدي» في ملابسه الرياضية، ثم عندما شاهده يجري، وأخذ «تختخ» يضحك ويضحك … كلما تصوَّر الشاويش «فرقع» وهو يجري خلف الرياضي القوي حتى تنقطع أنفاسه.

أملٌ جديد

حضر «مُحب» و«نوسة» و«عاطف» و«لوزة» إلى منزل «تختخ» وهم يحملون جميعًا أخبارًا هامة، ولكن «تختخ» استقبلهم مبتسمًا، ثم اتسعت ابتسامته حتى أصبحت ضحكةً عالية، وانتظر الأصدقاء حتى انتهى «تختخ» من ضحكته، ثم سألته «لوزة» متلهِّفة: هل تستطيع أن تُفسِّر لنا سر هذه الضحكة يا «تختخ»، هل حللتَ اللغز؟

ردَّ «تختخ» وهو يبتسم: على العكس ... لقد فقدنا الأمل الوحيد ... إن «حمدي» وحياته الغريبة لا علاقة لها بحوادث سرقة المجوهرات.

ثم شرح لهم «تختخ» ما حدث، فانطلقوا جميعًا يضحكون، وهم يتخيَّلون الشاويش «فرقع» وهو يجري على الكورنيش، يحمل عكَّاز المتسوِّل، ويُحاول متابعة البطل الرياضي في جريه.

قطعت «لوزة» حبل الضحكات قائلة: ولكن يا «تختخ» إن كون «حمدي» يقوم بتمارينه الرياضية لا يعني أنه لا يقوم بارتكاب جرائمه، فلعله يرتكبها وهو يتمرَّن أيضًا.

تختخ: معك حق يا «لوزة»، لقد فكَّرت في هذا أيضًا، فليس هناك أحدٌ فوق الشبهات ... ولكن الشاويش سيقوم عنا بحسم هذه النقطة؛ فسوف يقوم بمراقبة «حمدي» يوميًّا حتى يتعب، فإذا كان هو اللص فسوف يقبض عليه حتمًا.

لوزة: هل معنى هذا أنه لم يعد هناك أمل في حل لغز ذي القدم الكبيرة ... أو اللص الشبح؟

تختخ: بقي أملٌ واحد ... هو اللواء «سيف الدين»، ولحسن الحظ أنه سيعود غدًا من المصيف، وسوف أذهب إليه مع والدي الذي سمعت أنه سيذهب لزيارته.

قضى الأصدقاء بقية اليوم في مناقشاتٍ حول شخصية اللص الشبح، الذي يسرق ثم يتلاشى في الهواء، وكانت لهم آراءٌ كثيرة، ولكنها على كل حال عند حد الاعتراف بأنه أبرع لص قابلوه، وأصعب لغز اشتركوا فيه.

وفي اليوم التالي اصطحب «تختخ» والده في زيارة اللواء «سيف الدين» الذي رحَّب بهما كثيرًا، وخصَّ «تختخ» بكثيرٍ من الثناء لأنه يعلم بما حقَّقه من نجاحٍ في حل كثيرٍ من الألغاز التي حيَّرت رجال الشرطة.

وكان اللواء رجلًا ضخم الجسم بطريقةٍ غير عادية، وكانت يداه وقدماه أكثر حجمًا من يدَي الرجل العادي ورجلَيه، حتى إن «تختخ» لم يستطع منع نفسه من الشك في هذا الرجل المحترم الوقور.

وكان «تختخ» خلال الحديث كله يبحث عن طريقةٍ يتحدَّث بها عن أحذيته، وقد جاءت فرصة مناسبة عندما كان اللواء يتحدَّث عن ذكرياته في الجيش، وكيف كانت الإدارة تجد صعوبةً في وجود مقاساته من الملابس والأحذية، في هذه اللحظة قال «تختخ»: والآن ماذا تفعل يا حضرة اللواء؟

ضحك اللواء «سيف الدين» وهو يقول: إنني محرومٌ من الذهاب إلى محلَّات الملابس الجاهزة لاختيار ثياب كما يفعل كل الناس؛ فأنا مضطرٌّ دائمًا أن أُفصِّل ملابس وأحذية، حتى أضمن المقاسات اللازمة.

قال «تختخ» ضاحكًا: معنى هذا أن لا أحد يستفيد مطلقًا من أحذيتك القديمة.

وردَّ اللواء بضحكةٍ مماثلة وهو يقول: لا أحد ... حتى إنني علمت من البوَّاب أنهم وجدوا صعوبةً في بيع أحد أحذيتي القديمة إلى بائع الروبابيكيا الذي يمر بمنزلنا في بعض الأحيان، وأخيرًا استطاعوا إقناعه أن يشتري حذاءً تكلف أربعة جنيهات بخمسة قروش فقط!

ضحك الرجلان على هذه النكتة، وضحك «تختخ» أيضًا، ولكن كان ذهنه يعمل بسرعة ... فقد حصل على المعلومات التي جاء في طلبها دون أن يُحس أحد، وبقي أن يعثر على بائع الروبابيكيا سريعًا، فقد يعرف عن طريقه أين الحذاء.

وانتهت الزيارة وأوصلهما اللواء إلى الباب الخارجي، وهو يعدهما بزيارةٍ قريبة.

لم يكد «تختخ» يصل إلى البيت، حتى قام بالاتصال بالأصدقاء، وأبلغهم بالمعلومات التي حصل عليها، وطلب القيام مبكِّرًا للبحث عن بائع الروبابيكيا، على أن يقوم هو أيضًا بالبحث.

ولم تكد شمس اليوم التالي تُشرق، حتى كان «تختخ» يركب دراجته منطلقًا إلى بيت اللواء، حيث قابل البوَّاب الذي حيَّاه باحترامٍ شديد، بعد أن رآه أمس في زيارة اللواء.

قال «تختخ»: من هو بائع الروبابيكيا الذي يشتري منكم الأشياء القديمة؟

قال البوَّاب مندهشًا: هل هناك شيء تُريد أن تبيعه يا أستاذ؟!

قال «تختخ» مبتسمًا: لا أبدًا، إنني أبحث عن شيء أُريد شراءه وليس موجودًا بالمحلَّات.

البواب: إنه «عبد السميع» أقدم بائع روبابيكيا، وهو يسكن في آخر «المعادي»، قرب العزب، وليس له عنوان، ولكنك لو سألت أي شخص عنه فسوف يدلُّك عليه.

واستدار «تختخ» ليركب دراجته، فوجد الأصدقاء يظهرون في أول الشارع، والتقى الجميع فقال «تختخ»: حظٌّ طيب، لقد عرفت الرجل دون مجهود، وعلينا أن نتوجَّه إليه حالًا؛ فقد نصل إلى مكان الحذاء القديم، وهذا الحذاء هو الأمل الأخير لنا لحل اللغز.

تحرَّكت الدراجات الخمس، و«زنجر» يركب في سلته خلف «تختخ» في اتجاه غرب «المعادي»، ولم يكد الأصدقاء يصلون إلى هناك، حتى سمعوا صوت بائع الروبابيكيا العجوز وهو يرفع صوته مناديًا.

اتجه إليه الأصدقاء فورًا، وتقدَّم «تختخ» منه بعد أن نزل من على دراجته وقال: صباح الخير يا عم «عبد السميع».

أشرق وجه الرجل بابتسامته وهو يسمع اسمه من شخصٍ لا يعرفه، وقال: صباح الخير يا ابني ... خيرًا، هل معك شيء للبيع؟

تختخ: لا، إنني أبحث عن جنزيرٍ لدراجتي.

نظر الرجل إلى دراجة «تختخ» بعين خبير، ثم قال: ولكن هذا الجنزير جديد، فما حاجتك إلى جنزيرٍ قديم؟

لم يرتبك «تختخ» أمام إجابة الرجل ونظراته الغامضة، بل قال ببساطة: إنني أحب جمع الأشياء القديمة، قد أشتري الجنزير ذاته، وأجد شيئًا آخر ظريفًا أشتريه.

عبد السميع: اذهب إذن إلى عشتنا في آخر هذا الشارع، وستجد زوجتي هناك، وقل لها إنني أرسلتك حتى تكرمك في الثمن.

ودَّع الأصدقاء «عبد السميع» وانطلقوا مسرعين إلى حيث أشار الرجل، وعلى عكس اللقاء الودي الذي استقبلهم به «عبد السميع»، استقبلتهم زوجته استقبالًا باردًا، يدعو إلى اليأس، ولكن «تختخ» لم يكن ليترك الفرصة تُفلت من أيديهم؛ فقد نظر حوله فوجد تمثالًا صغيرًا لبائع العرقسوس، فسأل السيدة: بكم هذا التمثال؟

قالت وكأنها تريد ألَّا تبيعه: بخمسة وعشرين قرشًا.

كان التمثال في الواقع لا يُساوي أكثر من عشرة قروش، ولكن «تختخ» مدَّ يده في جيبه، ثم أعطاها ما طلبته ببساطة أثارت طمعها، فأسرعت بالابتسامة إلى شفتَيها وهي تقول: هل هناك شيء آخر تُريد شراءه؟

قال «تختخ» وقد أدرك أن الطريق أمامه أصبح ممهَّدًا: إنني وأصدقائي نبحث عن حذاءٍ قديم.

نظرت السيدة إليهم في دهشة وقالت: حذاء قديم؟! لمن فيكم؟! إنكم جميعًا تلبسون أحذيةً جديدة، ولستم في حاجةٍ إلى أحذيةٍ قديمة.

تختخ: إننا نبحث عن حذاءٍ كبير، أكبر حذاء ممكن؛ لأننا سنقوم بعمل فصل مضحك في أحد أصدقائنا، فسوف نُرسله له هديةً في عيد ميلاده، مجرَّد الضحك فقط، فهو صديقٌ لطيف ويحب الضحك كثيرًا.

السيدة: هذه هي الأحذية القديمة التي عندي كلها، اختاروا ما يحلو لكم منها.

أخذ الأصدقاء يُقلِّبون الأحذية القديمة الكثيرة المكوَّمة في أحد الأركان، ولكن كان من الواضح لهم أن الحذاء الضخم ليس بينها؛ فقد كانت كلها أحذية من المقاسات المتوسطة أو الصغيرة، وليس بينها بالتأكيد حذاء مقاس «٤٧» الذي يبحثون عنه.

تختخ: لقد قابلت عم «عبد السميع» منذ لحظات، وقال لنا إن عندكم حذاءً قديمًا كبيرًا كان قد اشتراه من بوَّاب منزل اللواء «سيف الدين» منذ أسابيع.

فكَّرت السيدة قليلًا، ثم قالت: آه ... إنني أتذكَّر هذا الحذاء ... إن «عبد السميع» هذا رجلٌ خائب يشتري أحذيةً لا يمكن لأحدٍ أن يشتريها مطلقًا ... وقد أحسست بالراحة عندما اختفى الحذاء من منزلي.

تختخ: ماذا تقصدين بكلمة اختفى؟ هل اشتراه أحد؟ أم أنه اختفى من تلقاء نفسه؟

السيدة في ضيق: كيف يختفي من تلقاء نفسه ...؟! هل سيسير وحده؟! لقد اختفى ... سرقه أحد الزبائن الأدنياء.

تختخ: سرقه! وهل عرفت من هو السارق؟

السيدة: لا، فأنا لم أهتمَّ بضياعه، على العكس، لقد سعدت كثيرًا لأنه اختفى؛ فقد كان بضاعةً كاسدة، وأنا لا أُحب البضاعة التي تبقى طويلًا عندي.

نظر «تختخ» إلى الأصدقاء، وقد بدا في عينَيه الضيق والأسف، وكان هذا هو نفس شعور الأصدقاء الذين أحسُّوا مرةً أخرى أنهم قد وصلوا إلى طريقٍ مسدود.

حكاية الآثار

في صباح اليوم التالي وقع الحادث الرابع، قام اللص الشبح بسرقة علبة مجوهرات من إحدى الفيلات بنفس الطريقة؛ صوت السعال ... الأقدام الثقيلة ... ثم يتلاشى اللص في الهواء، ولا يترك خلفه سوى آثار قدمَيه الكبيرتَين، وآثار القفَّاز على الحائط.

لم يذهب «تختخ» هذه المرة لبحث السرقة، بل بقي في البيت، وقد سيطرت عليه حالةٌ من الكآبة والضيق؛ فليس هناك شيء يمكن عمله بعد كل هذا، ومن الواضح أن اللص أذكى منهم جميعًا، أو أنه توصَّل إلى طريقةٍ سحرية للاختفاء ... وفي محاولةٍ أخيرة لمعالجة اللغز، أخذ «تختخ» يقرأ المعلومات التي جمعها من الحوادث الثلاثة السابقة ... وما سمعه عن الحادث الرابع، وفجأةً قفزت إلى ذهنه فكرة هائلة ... هامة جدًّا ... حتى كاد يطير من الفرح وهو يُفكِّر فيها.

قال «تختخ» في نفسه: إن أي لص في العالم يحرص عادةً بعد الحادث على إخفاء آثار بصمات أصابعه أو أقدامه، وكثيرٌ من اللصوص يقومون بمسح آثارهم من مكان الحادث حتى لا يستدل رجال الشرطة عليهم بتتبُّع هذه الآثار ... ولكن هذا اللص على العكس ... إنه يُبرز آثار قدمَيه ويدَيه في كل مكان، ومن المدهش أنه يكاد يضع آثاره في أماكن بارزة حتى تكون تحت أنظار الباحثين ورجال الشرطة ... ما معنى هذا؟ لا يمكن أن يكون معناه أنه يُريد أن يُقبض عليه ... على العكس إنه يقصد قطعًا أن يُبعد الأنظار عنه، ويلفت نظر الشرطة للبحث عن شخصٍ آخر ... فهذه الآثار ليست لرجلٍ ضخم، على العكس، إنها في الغالب لرجلٍ ضئيل الجسم، يُريد أن يوهم الشرطة أنه رجلٌ طويل؛ عريض حتى يُضلِّلهم عن الحقيقة.

لم يكد «تختخ» يصل إلى هذا الاستنتاج حتى ضرب رأسه بيده وصاح: لقد وجدتها ... وجدتها ... وجدتها، ثم انطلق إلى الشارع متجهًا إلى مكان السرقة الرابعة التي وقعت ذلك الصباح.

كان الشاويش «فرقع» موجودًا، يبحث هنا وهناك، وينقل الآثار التي تركها اللص على الورق، ويكتب مذكِّرات عن الحادث، فلمَّا اقترب منه «تختخ» نظر إليه الشاويش في يأسٍ شديد، ثم قال: ماذا أتى بك إلى هنا؟ هل ستحل اللغز؟ إنك لن تحل هذا اللغز أبدًا، بل إنه لغزٌ غير قابل للحل على الإطلاق.

ردَّ «تختخ» بصوتٍ غامض: لقد أصبحت رشيق القوام أيها الشاويش، ولا بد أنك تقوم بتمريناتٍ رياضية منتظمة.

الشاويش: وماذا يُهمك في ذلك؟ وهل هذا التعليق السخيف هو الذي يحل اللغز؟

تختخ: أبدًا، ولكن لا تُتعب نفسك في التمارين كثيرًا، وعلى كل حال سوف أُريحك قريبًا من هذا اللغز.

ثار الشاويش وصاح قائلًا: أنت تُريحني؟! من أنت حتى تُريحني أو تُتعبني أيها الطفل المغرور؟! فرقع من هنا، فرقع.

ولكن «تختخ» لم يتحرَّك، لقد دخل الحديقة وعاين الآثار، ثم صعد إلى الدور الثاني وعاين آثار القفَّاز، ثم سأل الشغَّالة التي كانت في المنزل وحدها في ذلك اليوم بضعة أسئلة.

ركب «تختخ» دراجته بعد ذلك وانطلق مسرعًا إلى العزبة، حيث يسكن «عبد السميع» بائع الروبابيكيا، كان يُريد أن يُقابله ويتحدث معه؛ فقد كان في ذهنه فكرة يُريد أن يتأكَّد منها، ولكن «عبد السميع» لم يكن في المنزل، ورفضت زوجته الحادة الطبع أن تُجيب عن أية أسئلة سألها «تختخ»، فذهب إلى بوَّاب منزل اللواء «سيف الدين» الذي رحَّب به مرةً أخرى فقال له «تختخ»: آسف لأنني سأسألك عن ذلك الحذاء القديم مرةً أخرى، ولكن أرجو أن تكون هي المرة الأخيرة.

البواب: شيءٌ غريب أمر هذا الحذاء! ... هل تُريد واحدًا مثله؟

تختخ: لا، أبدًا، إنه مرتبطٌ بقضيةٍ هامة أُريد بحثها، والآن هل تذكر أن لهذا الحذاء نعلًا من الكاوتش المخطط؟

قال البواب ببساطة: طبعًا أذكر هذا يا أستاذ؛ فسيادة اللواء يضع لجميع أحذيته نعلًا من الكاوتش ليتحمَّل وزنه الثقيل، وإلَّا لاستهلك أي حذاء في أسبوعٍ واحد.

شكر «تختخ» البواب، فهذه المعلومات التي يُريد أن يسمعها بالضبط، ثم انطلق عائدًا إلى البيت.

كان الأصدقاء الأربعة في انتظاره بعد أن عرفوا بوقوع الحادث الرابع، وكانوا جميعًا تبدوا عليهم الكآبة بعد أن فشلوا في حل اللغز، ولكنهم فوجئوا بـ «تختخ» وهو يبتسم ابتسامةً عريضة، بل إنه كان يُصفِّر لحنًا راقصًا بشفتَيه، وهو ينظر إليهم بغموض.

قالت «لوزة» تسأله: إنك لست في حالةٍ اعتيادية اليوم يا «تختخ»، هل عثرت على كنزٍ من الجواهر؟

قال «تختخ» مبتسمًا: لقد عثرتُ على اللص الذي يسرق الجواهر، والذي أصبح عنده كنز منها بالتأكيد، لكنه لن يتمتَّع به كثيرًا.

لوزة: هل تعتقد أنك وصلت إلى اللص الخفي ... اللص الشبح؟

فتح جميع الأصدقاء عيونهم وآذانهم وهم ينظرون ويستمعون إلى «تختخ» الذي قال: إنني لم أعرف اللص بعد، ولكنني أعتقد أنني سوف أصل إليه خلال ٢٤ ساعةً من الآن ...

قال «مُحب» في اندفاع: إذا استطعت أن تحل هذا اللغز يا «تختخ»؛ فسوف أدعوك إلى تناول الجيلاتي لمدة أسبوع على حسابي.

نوسة: وأنا أدعوك في الأسبوع الذي بعده.

عاطف: وأنا أدعوك إلى السينما.

تختخ: شكرًا لكم ... إن جائزتي الوحيدة هي حل اللغز، وسوف أستأذن رجال الشرطة في الاحتفاظ بالحذاء الكبير؛ لأنه سيكون أحسن أثر أحتفظ به من ذكريات هذه المغامرة.

لوزة: قل لنا يا «تختخ»، هل عرفت اللص فعلًا؟

تختخ: آسف ألَّا أقول لكم الآن؛ فقد تكون النظرة خاطئةً وأتعرَّض إلى سخريتكم ... امنحوني فرصةً حتى الغد.

في تلك الليلة قضى «تختخ» وقتًا طويلًا في محطة «المعادي»، وكأنه يتمتَّع بالنسيم الهادئ القادم من النيل، ولكنه في الحقيقة كان يُراقب القادمين من القاهرة؛ فقد كانت في ذهنه فكرة معيَّنة يُريد أن يُثبتها، ولكنه لم يكن واثقًا منها ... وبعد أن انقضى جزءٌ طويل من الليل دون أن يظهر ما يُريد، ترك مكانه، واتجه إلى العزب الموجودة في غرب «المعادي»، حيث يسكن «عبد السميع» بائع الروبابيكيا. أخذ «تختخ» يتجوَّل وخلفه الكلب «زنجر» الذي كان مندهشًا لاهتمام صاحبه بهذه الرحلة الليلية في أماكنَ مظلمة، ولكن رغبة «تختخ» في إثبات فكرته جعلته يستمر في التجوُّل والمراقبة، وفي ساعةٍ متأخِّرة من الليل سمع «تختخ» صوت تاكسي مقبل من بعيد، فاتجه إليه محاولًا اللحاق به والنظر في داخله، ولكن التاكسي تجاوزه مسرعًا فلم يستطع «تختخ» رؤية الراكب الذي كان به.

عاد «تختخ» إلى البيت، وقد زاد يقينه أنه سيحل اللغز، ولكنه قرَّر أن يحله بطريقةٍ مختلفة عن كل الألغاز السابقة، سيحله أمام الجميع وأمام المفتش «سامي» والشاويش «فرقع» بأسلوبٍ ليس له مثيل؛ فليست هناك مطاردات ولا مغامرات، وسوف يجعل اللص يُسلِّم نفسه إلى رجال الشرطة بلا متاعب.

وفي الصباح كان أول شيء فعله «تختخ» أن طلب من الأصدقاء الحضور إلى بيته في السادسة مساءً، ثم اتصل أيضًا بالمفتش «سامي» وقال له: أرجو أن تحضر هذا المساء إلى منزلنا لتناول الشاي.

المفتش: سيسرني أن أراك، ولكن هل من الضروري الحضور اليوم؟

تختخ: إذا كنت تُحب القبض على اللص الشبح.

سكت المفتش قليلًا، ثم قال: هل أنت متأكِّد؟!

تختخ: إذا صحَّت نظريتي؛ فسوف نقبض عليه وأنت تتناول الشاي، وبالمناسبة يا سيدي المفتش، أرجو أن تُحضر «نشوى» معك، لقد حضرت بداية اللغز، ومن حقها أن تحضر نهايته.

من هو اللص الشبح؟

استعدَّ «تختخ» لإلقاء خطاب طويل هذا المساء ليشرح للحاضرين كيف حلَّ لغز اللص الشبح، وفي السادسة إلَّا ربعًا حضر «مُحب» و«نوسة» و«عاطف» و«لوزة»، وقد لبسوا أجمل ثيابهم، وقد أحسُّوا جميعًا بالسعادة لأنهم سيُقابلون المفتش «سامي» وابنته الظريفة «نشوى»؛ وكذلك لأنهم سيعرفون اللص الشبح.

وبعد دقائقَ من وصولهم، وبعد إعداد الشاي والجاتوه وصل المفتش «سامي» ومعه ابنته الظريفة «نشوى»، التي استقبلها الأصدقاء بحماسة ... ووضع المفتش «سامي» رأسه على يده، ثم قال: والآن أيها المخبر الممتاز «تختخ»، نحن على استعدادٍ لسماع القصة كاملة.

وبلع «تختخ» ريقه، ثم وقف وقال: اسمحوا لي أن آخذ من وقتكم نصف ساعة تقريبًا في الحديث، وفي الساعة السادسة والنصف تمامًا، سوف يدخل عليكم اللص الشبح، ويُسلِّم لكم نفسه دون أي مجهود.

المفتش: إنها أشبه بمسرحيةٍ ظريفة.

تختخ: لقد كنتُ حريصًا على أن أحل هذا اللغز غير العادي، بطريقةٍ غير عادية ... لقد كانت البداية التي هدَتني إلى الحل هذه الآثار الواضحة التي يتركها اللص في مكان الحادث ... فالمعتاد أن يحرص اللص على إخفاء بصَماته وآثاره عن رجال الشرطة ... أمَّا إذا حرص اللص على إظهار هذه الآثار، فهو بلا شك يُضلِّل رجال الشرطة ليجعلهم يُفكِّرون في شخصٍ آخر غيره ... وقد استطاع اللص الشبح أن يُضلِّلنا جميعًا؛ فقد أقنعتنا الآثار أنه رجلٌ عملاق، فركَّزنا جهودنا في البحث عن رجلٍ ضخم الجثة مقاس حذائه «٤٧» ... وهكذا استطاع اللص أن يسرق مرةً ثانية، وثالثة، ورابعة، وهو متأكِّدٌ أننا ما زلنا نُطارد العملاق الوهمي ...

وقد كان من الممكن أن يستمر في ارتكاب جرائمه دون أن نتمكَّن من اكتشافه.

قال المفتش «سامي»: هذه نقطةٌ هامة، واستنتاج بارع يا «توفيق».

استمرَّ «تختخ» يتحدث فقال: النقطة الثانية التي فكرتُ فيها هي نوع المسروقات التي يسرقها اللص ... إنه مهتمٌ بالأشياء الصغيرة ... الساعات ... الخواتم ... المجوهرات، وكلها أشياء سهلة الحمل، سهلة الإخفاء، لا تحتاج إلى جهدٍ كبير في إخفائها ...

وسكت «تختخ» قليلًا، ثم قال: النقطة الثالثة هي المواعيد التي كان اللص يختارها لسرقاته ... إنه يسرق دائمًا في وضَح النهار ... وبين الساعة الثامنة والتاسعة تقريبًا ... وهي الساعة التي يخرج فيها الناس إلى أعمالهم، ولا يبقى في البيوت إلَّا امرأة عجوز ... أو شغَّالة ... وبالطبع يستطيع أن يجد وسيلةً لدخول البيت دون أن يراه أحد، خاصةً إذا عرفنا أن عمله يسمح له بالدخول إلى البيوت، دون أن يشك فيه إنسان.

انتبه الجميع بعد هذه الجملة، ولكن «تختخ» استمرَّ يقول: النقطة الرابعة هي ذلك الأثر الغريب الذي كُنَّا نجده دائمًا في الحديقة ... أقصد هذه الدائرة ذات الخطوط التي كانت موجودةً مع كل السرقات ... إنها علامةٌ مميزة لشيءٍ يحمله اللص معه ... فما هو هذا الشيء؟

سكت الجميع ولم يردَّ أحد، فاستمر «تختخ» يقول وهو ينظر إلى ساعته: أستأذنكم في الاتصال بالشاويش «علي»، ليحضر معنا اللحظة الحاسمة التي سيدخل فيها اللص علينا.

وخرج «تختخ» فتحدَّث مع الطبَّاخة حديثًا قصيرًا، ثم اتجه إلى التليفون وتحدَّث إلى الشاويش «علي» وطلب منه الحضور إلى منزله، ولكن الشاويش ردَّ بغضب: إنني مشغولٌ في أعمالٍ هامة، وليس عندي وقت أُضيِّعه معك ومع بقية هؤلاء الذين يُسمُّون أنفسهم المغامرين الخمسة.

ردَّ «تختخ» بهدوء: يا حضرة الشاويش ... إني أرجو منك الحضور للقبض على اللص الشبح ... إذا كان يُهمُّك القبض عليه ... خاصةً وقد امتلأت «المعادي» بالحديث عنه، ونشرت الصحف حوادثه ... كما أن المفتش «سامي» موجود هنا الآن.

لم يكد الشاويش يسمع اسم المفتش حتى قال في صوتٍ خافت: لا بأس يا أستاذ «توفيق»، سوف أحضر حالًا.

عاد «تختخ» إلى الأصدقاء، وأخذ يصب لهم الشاي بأعصابٍ هادئة، في حين كان الجميع ينظرون إليه في تَرَقب، منتظرين اللحظة التي سينكشف فيها الغموض الذي أحاط باللغز العجيب.

بعد دقائقَ وصل الشاويش «علي»، فحيَّا المفتش تحيةً عسكرية، ثم وقف فقال «تختخ»: هذا مقعدٌ جاهز لك يا حضرة الشاويش، وإنني أستأذن المفتش أن تتناول معنا الشاي.

نظر الشاويش إلى المفتش كأنما يسأله عمَّا يفعله … فقال له المفتش: أنت حرٌّ في أن تقبل هذه الدعوة أو ترفضها.

قال الشاويش: في الحقيقة يا حضرة المفتش إن هؤلاء الأولاد يُضيِّعون وقتنا، وقد يرتكب اللص الشبح جريمةً أخرى، ونحن جالسون هنا، إن عندي من الأدلة ما يُثبت أن هذا اللص أحد صيادي الأسماك، الذين يعيشون في الجزر الصغيرة في النيل، وهو رجلٌ طويل القامة، قوي الجسم جدًّا، ويُشتهر بأنه يستطيع أن يكسر عمودًا من الخشب بضربةٍ واحدة من يده.

المفتش: ولماذا لم تقبض عليه أيها الشاويش؟ تردَّد الشاويش قليلًا، ثم قال: إنني … إنني … أقصد أن مثل هذا الرجل لا يُمكنني أن أقبض عليه وحدي، إنه يحتاج إلى ستةٍ أو ربما عشرة من الرجال للقبض عليه.

المفتش: إن رجل القانون لا يخاف من لصٍّ مهما كانت قوته. إن الشرطي يستخدم رهبة القانون في تنفيذ مهمته، وليس عضلاته فقط يا حضرة الشاويش، وإلَّا لما استطعنا القبض على كثيرٍ من المجرمين.

احمرَّ وجه الشاويش وهو يسمع هذا الكلام وقال: إذن اسمح لي أن أذهب الآن فورًا للقبض عليه، والعودة به مقيَّدًا بالحديد.

المفتش: وهل أنت متأكِّد أنه هو؟

الشاويش: في الحقيقة … أقصد … إنه الرجل الوحيد في هذا المكان الذي يمكن أن يلبس مثل هذا الحذاء الضخم ومثل هذا القفاز الكبير، وقد راقبته بنفسي فترةً طويلة.

المفتش: وماذا كانت نتيجة المراقبة؟

الشاويش: إنه يسكن في عشةٍ بسيطة على شاطئ النيل هو وزوجته وأطفاله … ويقوم مبكِّرًا … و…

وقبل أن يستمر الشاويش في الحديث قال «تختخ»: معذرةً يا حضرة الشاويش … إنني لا أُريد مقاطعتك، ولكني أستبعد أن يقوم مثل هذا الصياد بالسرقة … فهؤلاء الصيادون مشهودٌ لهم بالأمانة.

الشاويش: هذا عملي … وليس هناك أحدٌ فوق الشبهات عندما أُحقِّق في الحوادث والجرائم.

تختخ: معك حق، ولكن حتى أُريحك، وأُريح نفسي في هذا النقاش غير المجدي، أُحب أن أقول لك إن اللص الشبح سوف يحضر الآن، ويدخل هذه الغرفة وسيُسلِّم نفسه لك دون مقاومة.

نظر الشاويش إلى المفتش، ثم نظر إلى «تختخ» وقال في ضيق: هذا كلامٌ فارغ ... وهذه أول مرة في حياتي أسمع عن لصٍّ يحضر إلى رجل الشرطة، ويقول له تفضَّل اقبض عليَّ و... إنني لن أشترك في هذه المهزلة، ولْيسمح لي حضرة المفتش أن أنصرف.

المفتش: يا شاويش «علي»، هل تعتقد أنني أُحب الاشتراك في المهازل كما تُسمِّيها؟

اضطرب الشاويش وقال في اعتذار: آسف جدًّا يا حضرة المفتش، ولكن كيف تُصدِّق هذا الكلام؟! هل تُصدِّق أن لصًّا يأتي من نفسه للقبض عليه؟! هل صادفك شيءٌ مثل هذا من قبل؟

المفتش: هذا ممكن أن يحدث، إذا استطعت أن تحسب بالضبط تحرُّكات اللص، والأوقات التي يتحرَّك فيها، والأماكن التي يتردَّد عليها، ففي إمكانك انتظاره في الوقت والمكان المناسبَين، فيأتي إليك على قدمَيه، وما عليك إلَّا أن تقوم وتقبض عليه، وقد سبق أن قبضت على لصٍّ في قسم الشرطة ذاته، وكان قد جاء يُبلِّغ عن حادثٍ وهمي ليُبعد الشبهات عنه، وعلى كل حال، إذا لم يكن وراءك شيء هام ستذهب إليه، فتفضَّل بتناول الشاي معنا، فالوقت مناسب لشرب الشاي، وأنا أعرف أنك تُرحِّب بشرب الشاي في أي وقت.

كان الشاويش «علي» يُحب الشاي فعلًا، وشعر أن المفتش يُريد منه البقاء، فسحب الكرسي ثم جلس عليه.

نظر «تختخ» في ساعته، ثم قال: أرجو أن تنظروا جميعًا إلى ساعاتكم، إن الساعة الآن السادسة والعشرون دقيقة، فإذا صحَّت حساباتي واستنتاجاتي، فإن اللص الشبح سوف يدخل علينا بعد عشر دقائق، وأرجو أن يكون الشاويش جاهزًا للقبض عليه.

وقف الشاويش دون أن يدري مسرعًا وقال: إنني على استعداد.

وعندما وجد الجميع يبتسمون وهم ينظرون في ساعاتهم أحسَّ بالخجل وعاد إلى الجلوس.

جلس «تختخ» أيضًا، وهو يدعو الله في سره ألَّا يُخيِّب رجاءه، وألَّا يكسفه أمام هؤلاء الذين حضروا وهم على ثقةٍ من كلامه.

أمسك «تختخ» ببرَّاد الشاي، وأخذ يصب للجميع في الفناجين، وكانت أعصابه مضطربة، ولكنه استطاع السيطرة عليها، فلم يهتزَّ البراد في يده مرةً واحدة، وأخذ الجميع يشربون في صمت، فلم يكن يتردَّد في الغرفة سوى صوت ارتشافهم للشاي.

أخذت الدقائق تمر بطيئة، وكلُّ من في الغرفة ينظر في ساعته، وهو يستعجل عقارب الساعة أن تجري بسرعة، حتى تأتي الساعة السادسة والنصف ويتضح من هو اللص.

ولكن الساعة مضت تسير كالمعتاد، وتمر الدقائق بطيئة، بل إن الثواني نفسها بدت وكأنها تغيظهم وتطول.

ومرَّت دقيقتان ... ثلاث دقائق ... أربع دقائق ... خمس دقائق ... وبدأت الساعة تقترب من السادسة والنصف، السادسة والنصف إلَّا نصف دقيقة ... إلَّا خمسًا وعشرين ثانية ... إلَّا عشرين ثانية ... إلَّا عشر ثوانٍ ... إلَّا خمس ثوانٍ ... إلَّا ثانيتين ... إلَّا ثانيةً واحدة.

الساعة السادسة والنصف تمامًا ... ونظر الجميع إلى الباب ولكن أحدًا لم يظهر ... ثم تجاوزت الساعة السادسة والنصف بدقيقةٍ ولم يظهر أحد، ونظر الجميع إلى «تختخ» في قلق، وبدت على وجه الشاويش علامات السخرية، ولكن «تختخ» ظل هادئًا، وكأنه على ثقةٍ تمامًا ممَّا قال، وممَّا سيحدث.

وبعد ثوانٍ قليلة، سمع الجالسون جميعًا صوت أقدام في الخارج، وصوت حديث يجري، ثم فُتح باب الغرفة، فاتجهت العيون كلها إليه، وعلى الباب ظهر «عطوة» بائع الخبز بقوامه النحيل، وهو يحمل سلةً قائلًا: هل طلبتني يا أستاذ «توفيق»؟ لقد قالت لي الطباخة إنك تُريد مقابلتي، ولعلك تُريد مزيدًا من الخبز الساخن.

كانت لهجته كالمعتاد ساخرة ... فقال «تختخ»، وهو يُغلق الباب خلف «عطوة»: أيها الأصدقاء، أُقدِّم لكم اللص الذكي ... اللص الشبح ... اللص الذي لا يراه أحد ... أُقدِّم لكم «عطوة» ... سارق الجواهر.

بدا على الجميع الذهول التام، ولكن «عطوة» كان أكثرهم ذهولًا؛ فقد فتح فمه، وتلفَّت إلى الباب المغلق، وبلع ريقه بصوتٍ مسموع.

عندما نظر المفتش إلى وجه «عطوة» أدرك أن «تختخ» يقول الحقيقة، فقال للشاويش المذهول: يا شاويش «علي» قم بواجبك، واقبض على هذا اللص.

كان «عطوة» قد استردَّ بعض ثباته، فقال متظاهرًا بالمرح: ما هذا؟ ... هل هذه نكتة؟ ... من المقصود بهذا الكلام؟!

قال «تختخ» بثبات: ليس هناك سوى «عطوة» واحد هنا ... هو أنت وليس بين الحاضرين لص سواك ... فدعك من هذا التظاهر.

ثم مدَّ «تختخ» يده فأمسك بسلة الخبز التي يحملها «عطوة»، وأزاح قطعة القماش التي يُغطِّي بها الخبز، ثم رفع الخبز نفسه ... ومدَّ يده في السلة ... وأمام دهشة الجميع وإعجابهم، أخرج «تختخ» حذاءً ضخمًا، ثم مدَّ يده وأخرج قفَّازًا كبيرًا وقال: هذه أيها الأصدقاء هي «عدة الشغل» التي يستخدمها اللص الذكي «عطوة»، والتي جعلتنا جميعًا نظن أنه لصٌّ ضخم الجسم عملاق، وليس هذا الشخصَ الهزيل.

عندما سمع «عطوة» ما قاله «تختخ» لم يتمالك نفسه من البكاء، وانهار على الأرض، ولكن يد الشاويش الثقيلة أطبقت على كتفه وهو يقول: إذن فهو أنت أيها اللص القذر ... لقد خدعتني وكنت تتظاهر بأنك صديقي.

قال المفتش محييًا «تختخ»: هذه ضبطة لا مثيل لها أيها المخبر الممتاز.

وقالت «نشوى»: ولكن كيف توصَّلت إلى معرفته؟ لا بد أن تشرح لنا كل شيء.

«تختخ»: إنني بالطبع لم أقم بالعمل وحدي، فنحن المغامرين الخمسة نعمل معًا، ويُساعد بعضنا بعضًا ... وهذا النجاح ملك للمجموعة كلها ... «مُحب» و«نوسة» و«عاطف» و«لوزة» ... ولي أيضًا.

وأحسَّ الأصدقاء بالسعادة لهذه الكلمات الطيبة، والتقت عيونهم ب «تختخ» في إعزازٍ وحب وهو يشرح كيف استنتج الحقيقة قائلًا: لقد كان «عطوة» هو الرجل الوحيد الذي لا يشتبه فيه أحد ... فهو قصير ونحيف ولا يمكن أن يشك إنسان في أنه اللص العملاق ... ولكن الخطأ الذي ارتكبه هو أنه كان مصرًّا على إبراز آثاره، وهي كما قلت ليست عادة اللصوص ... لقد استفاد «عطوة» من عمله كبائع خبز، فهو بهذه الصفة يتردَّد على البيوت كلها ... ويدخلها دون أن يشك فيه أحد ... وبهذه الطريقة عرف البيوت التي تخلو من سُكَّانها في الصباح، وطرقات هذه البيوت، والسلالم التي توصل إلى الغرف، ثم يُغافل الشغَّالة أو ربة البيت الوحيدة ويصعد إلى فوق، حيث يلبس الحذاء والقفَّاز بعد أن يُلوِّثهما حتى يتركا الآثار المضلِّلة ... وبعد أن يسرق ما خفَّ حمله وغلا ثمنه، يضعه في السلة، ثم يخلع الحذاء والقفَّاز ويضعهما تحت الخبز، الذي يُخفيه دائمًا تحت قطعة القماش البيضاء، ثم يُطلق سعالًا حادًّا لزيادة التضليل، ثم ينزل بسرعةٍ وخفة ويخرج من المنزل، قبل أن تصل صاحبة المنزل إلى باب المطبخ، ثم يقف أمام الباب ويُنادي على العيش، وبالطبع لا يظن أحد أن الرجل الواقف بالباب كان منذ ثوانٍ قليلة يقوم بالسرقة

... بل إنه يتقدَّم أيضًا للمساعدة في القبض على اللص لينفي كل شبهة عنه ... أو يُساعد في القبض على نفسه، والخطة كلها تدل على ذكاءٍ نادر.

المفتش: ولكن في حادث السرقة حيث شاهدت آثاره بنفسي، كيف نزل برغم أن السيدة «بهيجة» صعدت إلى فوق، بعد أن سمعت صوت الأقدام وصوت السعال؟

تختخ: لقد استعمل مواسير المياه التي تمتد من نافذة الحمام إلى الأرض.

المفتش: ولكني عندما وصلت كانت نافذة الحمَّام مغلقةً من الداخل.

تختخ: لقد نزل أولًا على المواسير ... وعندما استغاثت السيدة تقدَّم كالبطل وصعد إلى فوق، حيث دخل الحمام بدعوى البحث عن اللص، وفي الحقيقة أنه كان يُغلق النافذة.

المفتش: إنك لصٌّ ذكي جدًّا يا عطوة، ولكنك لسوء حظك وحسن حظنا التقيت بمن هو أكثر ذكاءً منك، التقيت بـ «توفيق»، ولولا ذلك لما قبض عليك أحد.

سألت «نشوى»: ولكن لم تُفسِّر لنا سر الصوت الذي سمعته السيدة «بهيجة» في السرقة الأولى، ولا سر الدائرة ذات الخطوط البارزة على الأرض، وصوت السعال الذي يُشبه النباح؟

أمسك «تختخ» بسلة الخبز قائلًا: هذا هو السر ... ففي الحادثة الأولى ارتبك «عطوة»، فألقى بالسلة على الأرض، حيث صدر منها الصوت المكتوم، وتركت الأثر المستدير في الأرض ... أمَّا في المرات التالية فكان ينزل مسرعًا، حيث يضع السلة على الأرض حتى يشترك في مطاردة اللص، ويحصل على لقب «عطوة» الشجاع كما قال الناس عنه في الحادثة الأولى، أمَّا صوت السعال الذي يُشبه النباح، فقد كان لزيادة التضليل.

لوزة: هناك سؤالٌ أخير يا «تختخ»، كيف بدأتَ الشك في «عطوة»، برغم أنه كان في مكان الحادث أكثر من شخص يمكن الاشتباه فيهم، مثل بائع اللبن وساعي البريد؟

تختخ: هذا سؤالٌ هام جدًّا، فبعد أن عرفت بسرقة حذاء اللواء «سيف الدين» ... من منزل بائع الروبابيكيا، طُفت بالعزبة التي يسكن فيها، وهناك علمت أن «عطوة» كان يسكن عند بائع الروبابيكيا منذ شهور، ولم يكن بين الأشخاص الذين وُجدوا في أماكن حوادث السرقة سواه من يسكن في العزبة أو يتمكَّن من سرقة الحذاء، وقد كان ذكيًّا؛ لأنه سرق الحذاء ولم يشترِه؛ لأنه لو اشتراه لكان من السهل الشك فيه من البداية.

وسكت «تختخ» قليلًا، ثم قال: وقد سهرت أمس سهرةً طويلةً في انتظار عودة «عطوة» من القاهرة، فقد استنتجت أنه سوف يقوم بتصريف مسروقات السرقة الرابعة في القاهرة الكبيرة حيث لا يعرفه أحد، وصحيح أنني لم أرَه عندما عاد، ولكني سمعت صوت خطوات

متجهة نحو منزله في ساعةٍ متأخرة من الليل، فلم أشكَّ في أنه «عطوة». لقد باع المجوهرات، وقضى ليلةً لطيفة، ثم عاد إلى منزله.

سأل المفتش: والآن يا «عطوة»، أظن أنه ليس أمامك سوى الاعتراف؟

لم يردَّ «عطوة» بكلمةٍ واحدة، ولكنه أشار برأسه علامة الموافقة، فقال المفتش: عليك يا شاويش «علي» بكتابة محضر بما حدث، والحصول منه على اعترافٍ كامل بكل جرائمه وأسماء التجار الذين اشترَوا منه المجوهرات، حتى نستردَّها ونُعيدها إلى أصحابها.

حمل «عطوة» سلته مرةً أخرى، وخرج والشاويش يُمسكه بيده القوية من «ياقته»، فقال «مُحب»: لقد اتفقتُ على أن ندعوك على الجيلاتي طوال هذا الأسبوع إذا حللت اللغز يا «تختخ»، ونحن على استعدادٍ لأن نبدأ من الآن.

قال المفتش وهو يقف: اسمحوا لي بهذا الشرف، فأنتم جميعًا مدعوون لتناول الجيلاتي على حسابي.

نشوى: بقي شيءٌ أخير يا «تختخ»، إنك لم تقل لنا اللغز الصغير الذي بدأت به هذه القصة.

تختخ مبتسمًا: لا بأس ... سوف أروي لكم اللغز ولكن في يومٍ آخر ... فرأسي مرهق من فرط التفكير ... وقد لا أستطيع حل اللغز في حالة ما لم تستطيعوا أنتم حله.

ضحك الجميع لهذه النكتة، ثم أسرعوا إلى سيارة المفتش التي حملتهم جميعًا إلى الكازينو، وحول أكواب الجيلاتي اللذيذ، تلقَّى «تختخ» أكبر مجموعة من التهاني تلقَّاها في حياته.


هنداوي